جامعة الأزهر
كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنين بالديدامون – شرقية

منهج الإسلام في تحقيق الأمن المجتمعي من خلال بناء الفرد المسلم

إعداد

دكتور/ ناصر محمد السيد إسماعيل
أستاذ الأديان والمذاهب المساعد
جامعة الأزهر وجامعة حائل

دكتور/ إبراهيم علي أحمد محمد
أستاذ الثقافة الإسلامية المساعد
جامعة حائل وجامعة الأزهر

العدد السادس

١٤٤١هـ/ ٢٠١٩م

شكر وتقدير

يتقدم الباحثان بالشكل الجزيل لجامعة حائل بالمملكة العربية السعودية، ممثلة في عمادة البحث العلمي، التي تبنت هذا المشروع البحثي، ورقمه (١٦٠٨٥٤)، ودعمته مع مجموعة أخرى كبيرة من الأبحاث العلمية في التخصصات المختلفة.

والشكر -بعد شكر الله تعالى- لولاة أمور هذه البلاد المباركة، الذين يرعون البحث العلمي، ويدعمونه، ويعُدّونه أساس بناء المجتمع، وركن الوقاية والعلاج من الفكر الضال.

نسأل الله تعالى أن يديم الأمن والأمان، والسلم والسلام، والنعمة والاطمئنان على هذه البلاد المباركة وجميع بلاد المسلمين، والله ولي كل نعمة وحسنة، والحمد لله رب العالمين.

ملخص البحث

يتناول هذا البحث "منهج الإسلام في تحقيق الأمن المجتمعي من خلال بناء الفرد المسلم" بدءا من الكشف عن كيف يرى المسلم الكون والحياة والأحياء. وتلك هي القاعدة الأساسية لسلوكه، فإنه لا شك أن السلوك هو النتيجة الطبيعية للتصور. وطبقا للمنهج الإسلامي، فإن الكون هو عطية الله تعالى، وكل المخلوقات عبيده سبحانه، وهذا يتطلب التواصل الإيجابي الفعال بين عبيد الله تعالى، بصرف النظر عن اختلاف ألوانهم وأديانهم. تلك هي القاعدة التي يتعامل في ضوئها المسلم مع هذا العلم، وهي تهدي المسلم للسلوك الرشيد مع كل المخلوقات. والإسلام يضع نظام هائلا ليبني الفرد المسلم في عقيدته وعباداته وأخلاقه، كأب، وابن، وجار، وزميل، فالإسلام يبني الفرد ليكون إنسانا رشيدا في اعتقاده وسلوكه. وإلى جانب ذلك فإن العقيدة الإسلام تربي المسلم على احترام جميع المخلوقات: النبات والحيوان وحتى الجماد، فالمسلم يعتقد أنها كلها صنعة الله تعالى، وأي اعتداء عليها هو اعتداء على الله تعالى في المقام الأول، فالمسلم مصدر أمن لجميع الكائنات. وأركان الإسلام: الصلاة والزكاة والصيام والحج تربي المسلم اجتماعيا وسلوكيا ليكون مصدرا حقيقيا لأمان الناس جميعا، لأن النتيجة الطبيعية لأركان الإسلام هي الخلق الحسن، وجميع الأركان إنما هي تواصل إيجابي بين الناس. وأخيرا فإن الواقع يشهد بأن معدلات الجريمة في العالم الإسلام أقل بكثير من نظائرها في المجتمعات الغربية، سواء من ناحية الكم أو الكيف.

كلمات مفتاحية: منهج – الإسلام – الأمن المجتمعي – الفرد المسلم

Summary

this research is named "the Islamic strategies to achieve the social security through Muslim individual forming. starting with revealing how Muslim see the universe and all creations. this is the basic layer for his behavior. no doubt, the behavior is the natural result of imagination. according to the Islamic conception; the universe is the gift of Allah, and all the creation is his servants, and that requires the positive communication among the servants of Allah, regardless of the differences in colors and religions. This is the basic role which Muslim deals with the world through it. This basic role guide the Muslim to the rational behavior with the all creation. Islam lay out a huge system to build the individual Muslim in his doctrine, worships and ethics. as a father, son, neighbor, and colleague; Islam educate the individual Muslim to be a rational thinking and behavioral human being. Beside that, through the Islamic faith; Muslim respect all the creations, human being, plants, animals even nonliving things. Muslim believes that all creations are the work of Allah, and any violation against the creations is against Allah the almighty, so Muslim is the security source of all creations. Pillars of Islam: Prayer, Zakat (alms giving), Fasting in Ramadan and Hajj (Pilgrimage) are educated Muslim socially and behaviorally to be a security source to all people. Because of the natural fruit of these pillars is good manner, and all of them is a positive communication with all people. Finally, the crimes rate all over the world shows that the crimes in the Islamic world is less than the western world Whether in quantity or quality.

Key words: strategy- Islam- social security – Muslim Individual

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد.

فإن من أجل النعم الجديرة بإزجاء الحمد والشكر؛ نعمة الأمن، قال خير الخلق ﷺ: "من أصبح منكم معافى في جسده آمنا في سربه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا"(١)، وهي نعمة لا يلتفتُ كثير من الناس لشكرها، على أنها ليست أقل من الصحة أو نعمة المال؛ فإن الإنسان لا يهنأ بعيش إذا كان خائفا، ولو حيزت له الدنيا.

ولذلك قدّم الله تعالى نعمة الأمن على نعمة الرزق في قوله تعالى (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ)(٢)، بل يُكتفي بها مع التوحيد عما سواها من النعم، وذلك كقوله تعالى: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ)(٣).

يقول الإمام الرازي: "والابتداء بطلب نعمة الأمن في هذا الدعاء يدل على أنه أعظم أنواع النعم والخيرات، وأنه لا يتم شيء من مصالح الدين والدنيا إلا به، وسُئل بعض العلماء: الأمن أفضل أم الصحة؟ فقال: الأمن أفضل، والدليل عليه أن شاة لو انكسرت رجلها فإنها تصح بعد زمان، ثم إنها تُقبل على الرعي والأكل، ولو أنها ربطت في موضع وربط بالقرب منها ذئب فإنها تمسك عن العلف ولا تتناوله إلى أن تموت، وذلك يدل على أن الضرر الحاصل من الخوف أشد من الضرر الحاصل من ألم الجسد)(٤).

ولقد امتن الله على أهل مكة بنعمة الأمن، حيث قال تعالى: (فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ)(٥).

ونلحظ هنا أن الله قدّم نعمة الإطعام على نعمة الأمن، بخلاف الآية التي سلفت، وهذا يعودُ إلى ترتيب الأهمية؛ فالإنسان قد يعيش مع الخوف، لكنه لا يعيش مع الجوع.

---

(١) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، كتاب الزهد، باب القناعة، ٢/ ١٣٨٧، حديث رقم ٤١٤١، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء الكتب العربية: القاهرة. وحسنه الشيخ الألباني في صحيح سنن ابن ماجه ٢/ ٣٩٩، حديث رقم ٣٣٤٠.

(٢) سورة البقرة: ١٢٦.

(٣) سورة إبراهيم: ٣٥.

(٤) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، الرازي، محمد بن عمر بن الحسن، ١٩/ ١٠٤، ط٣، دار إحياء التراث: بيروت، ١٤٢٠هـ.

(٥) سورة قريش: ٣، ٤.

وقد جاء في آية أخرى خلافُ هذه الآية في الترتيب، وذلك قوله تعالى: (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ)[1].

وهذا الحديث في مقام الابتلاء، فتدرج من الشديد إلى الأشد، ولكن عند نزع النعمة يذكر الأشدَّ ثم الشديد، كما في قوله تعالى: (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ)[2].

والخوف مظنة ترك الأوطان، كما فعل النبي ﷺ في هجرته، وموسى عليه السلام.

ويزخر القرآن الكريم والسنة المطهرة بهدايات تمثل ركائز بناء الفرد المسلم، والتي تُهدي للإنسانية إنسانا ذا عقيدة سليمة، وعبادة صحيحة، وأخلاق كريمة، ورؤية متوازنة للكون والحياة، وتشريعات الإسلام صاغت هذا الفرد، وثمّ آلاف الشواهد على هذا، وما تزال هذه التشريعات قادرة على صياغة الإنسان الذي يعرف ربه معرفة صحيحة، ويتواصل مع بني آدم على اختلافهم تواصلا رشيدا، ويكون قوة دافعة في بناء الحياة.

إن المسلم السويّ أمنٌ لنفسه ولمجتمعه، يعرف مسؤولياته ويقوم بها على أكمل وجه، سواء كان عزبا أو زوجاً، جارا وزميلا وأخا، وأبا، وجدا، غنيا أو فقيرا، في السمع والطاعة والمنشط والمكره، على جميع أحواله يحكمه الإسلام، يعرف أن من أفضل القربات عند الله تعالى أن يكون نافعا للناس، وأن أبجديات إسلامه أن يسلم الناس من لسانه ويده، يعلم أن الرفق باب لرضا الله، وأن العنف مجاف لمنهج الله وسنة رسوله، يتربى على أن الله لا يحب الفساد، ولا يصلح عمل المفسدين، وأن الرحمة بكلب عطشان أدخلت بغياً الجنة، وغفرت لرجل ذنوبه، وأن القسوة مع هرة أدخلتِ امرأة النار، وأن من شُعب الإيمان إماطة الأذى عن طريق الناس، ومن ثم فإن أذى الناس يُناقض الإيمان ويُسخط الرحمن.

البيئة الإسلامية منبته للأمان المجتمعي الخارجي فكل التشريع يصب في أمان المجتمع النفسي والمالي والعقلي والنسبي فهي المقاصد الخمسة من التشريع بعكس البيئات الأخرى التي حلت الإنسان إلى أحادي الخلق فكأنه جسد بلا روح لا يهمه سوى اللذة.

والله نسأل أن يأخذ بأيدينا إليه أخذ الكرام عليه، وأن يوفقنا للعلم النافع والعمل الصالح.

---

(١) سورة البقرة: ١٥٥.

(٢) سورة النحل: ١١٢.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى:

١- نظرة الإسلام للإنسان، وأثرها في تحقيق الأمن في المجتمع، وتربية الفرد في مواقعه الاجتماعية المختلفة. ٢- ٢- أثر العقيدة الإسلامية في بناء المسلم السويّ.

٣- الأخلاق والآداب الإسلامية وأثرها في تحقيق الأمن في المجتمع.

٤- المعاملات الإسلامية وأثرها في بناء الفرد السوي.

٥- واقع الأمن بين المجتمعات الإسلامية والمجتمعات الغربية.

٦- صلاحية الإسلام وقدرته على بناء الفرد والمجتمع السويين.

٧- تفرد المنهج الإسلامي عن المناهج الوضعية الأخرى في بناء الفرد.

منهج البحث:

يستنير الباحثان بأساليب البحث العلمي التالية:

أولا: المنهج التاريخي: وهو المنهج الذي نقوم في ضوئه (باسترداد الماضي، تبعاً لما تركه من آثار، أياً كان نوع هذه الآثار، وهو المنهج المستخدم في العلوم التأريخية والأخلاقية)[١].

المنهج الوصفي: وهو المنهج الذي في ضوئه نستعرض "ظاهرة من الظواهر كما هي قائمة في الحاضر، بقصد تشخيصها، وكشف جوانبها، وتحديد العلاقات بين عناصرها أو بينها وبين ظواهر أخرى، وهو لا يقف عند حدود وصف الظاهرة، وإنما يذهب إلى أبعد من ذلك فيحلل ويفسر ويقارن ويقيم بقصد الوصول إلى تقييمات ذات معنى بقصد التبصر بتلك الظاهرة"[٢]، والظاهرة هنا نشوز المرأة وطلاق الثلاث.

المنهج الاستنباطي: وفي ضوء هذا المنهج نقوم بحصر الحقائق العامة، وتصنيفها، وترتيبها، ثم الاستنباط من ذلك"[٣]، فيدخل في هذا استنباط الحجج والاستدلالات العقلية من النصوص والروايات والأخبار.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة، وخمسة مباحث، وخاتمة.

---

(١) مناهج البحث العلمي، د. بدوي، عبد الرحمن، صـ٦٨، دار النهضة: القاهرة، ١٩٦٣م.

(٢) مقدمة في منهج البحث العلمي، د. العزاوي، رحيم، ص٩٧، ط١، دار دجلة: الأردن، ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م.

(٣) انظر: قواعد أساسية في البحث العلمي، سعيد إسماعيل صيني، ص٧١، ط١، مؤسسة الرسالة: بيروت، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.

المقدمة، وفيها أهمية البحث وأسباب اختياره، ومنهج وخطة البحث.

التمهيد: نظرة الفرد المسلم للكون.

المبحث الأول: نظرة الإسلام للإنسان، وأثرها في تحقيق الأمن في المجتمع.

المبحث الثاني: تربية الفرد في مواقعه الاجتماعية المختلفة، وأثرها في تحقيق الأمن في المجتمع.

المبحث الثالث: العقيدة الإسلامية وأثرها في بناء المسلم السويّ.

المبحث الرابع: أركان الإسلام وأثرها في بناء المسلم السويّ.

المبحث الخامس: الأخلاق والآداب والمعاملات الإسلامية وأثرها في تحقيق الأمن في المجتمع.

المبحث السادس: معدلات الجريمة بين المجتمعات الإسلامية والمجتمعات الأخرى.

خاتمة، وتشتمل على:

أهم النتائج والتوصيات، المصادر والمراجع، فهرس الموضوعات.

المسح الأدبي

لم يقف الباحث على بحث يحمل ذات العنوان، وإن كانت معالجة قضايا الأمن الوطني، وتربية الفرد المسلم منثورة في كتب مثل:

١- أثر الإيمان في تحقيق الأمن وثماره في الدولة السعودية دراسة عقدية تاريخية أمنية، للباحثة/ نادية بنت عبد العزيز بن محمد الهلالي.

٢- الدلالات التربوية لمفهوم الأمن في القرآن والسنة النبوية، لعبد الله خلفان عبد الله آل عائش.

٣- الأمن وأهميته على ضوء القرآن الكريم، للباحثة لولوة صالح حسين العلي.

٤- الأمن في القرآن الكريم، للباحث عبد الرحمن البشري بن علي أحمد.

٥- الأمن في القرآن الكريم، للباحث حنفي عبد الحليم حنفي عطية.

٦- منهج الإسلام في تحقيق الامن، للباحث إبراهيم محمد سالم أبو محمد.

٧- منهج الإسلام في بناء الفرد والمجتمع، للدكتور جمال عبد الهادي.

ومحاضرات مثل: العبادات وأثرها في بناء الفرد، للدكتور/ محمد راتب النابلسي،

غير أن هذا البحث يتميز في أنه يبين دور تربية الفرد المسلم السوي في تحقيق الأمن المجتمعي، ويشير إلى بعض المناهج والنظريات الوضعية وأثرها السلبي على الفرد ومن ثم المجتمع، وبيان تنزه الإسلام عن مثل هذه المثالب.

مفهوم الأمن في الإسلام:

يحسن -كما هي سنة الباحثين في الدرس والتناول- أن نبدأ بتطوافة في بساتين كتب اللغة؛ لنقف على موجز لمعنى هذه الكلمة في لغة العرب.

مفهوم الأمن في اللغة:

"الأَمنُ: ضدّ الخوف ... والأَمَنَةُ من الأَمْن، والأمانُ: إعطاء الأَمَنة. والأمانةُ: نقيضُ الخِيانة"[1]. فـ"الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان: أحدهما الأمانة التي هي ضد الخيانة، ومعناها سكون القلب، والآخر التصديق...."[2]، و"الإِيمان هو التصديق الذي معه الأَمن"[3]. والعرب تقول: رجل أمان: إذا كان أمينا، قال الأعشى:

ولقد شهدت التاجر الـ أمان موروداً شرابُه[4].

والأمن مصدر أمن يأمن أي: اطمأن، وزال خوفه، وسكن قلبه، وكل التعاريف تنصبُّ حول هذا المعنى، وهو "طمأنينة النفس وزوال الخوف"[5].

"ورجل أُمَنة، وأَمَنة: يثق بكلّ واحد، وأَمينٌ، وأُمّانٌ: يُؤمَن به. والأَمُون: النَّاقة الَّتي يؤمن فُتورها وعثارها"[6].

كل هذه المعاني السامية هي حقيقة ثمرة الإسلام من عقيدته السليمة، وعباداته الصحيحة، وأخلاقه ومعاملاته السامية، وذلك رجاء تحقق من قبل، ويمكن تحقيقه كلما سلكت الأمة سبيل الله تعالى، ولم تتبع السبل التي تُضِل عن سبيل الله تعالى.

وسوف أتحدث عن منهج الإسلام في تحقيق الأمن المجتمعي من خلال بناء الفرد المسلم في مباحث، كما يلي:

---

(١) العين، الفراهيدي، الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري ٨/ ٣٨٨، تحقيق: د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي. دط، مكتبة الهلال: القاهرة، دت.

(٢) مقاييس اللغة، ابن فارس، أحمد بن فارس ١/ ١٣٣، تحقيق: عبد السلام محمد هارون. ط١، دار الفكر: القاهرة، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.

(٣) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب ٢/ ١٥١، تحقيق: محمد علي النجار. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية: القاهرة، ١٤١٦هـ ١٩٩٦م.

(٤) مقاييس اللغة، ابن فارس، أحمد بن فارس ١/ ١٣٣.

(٥) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، ص٢٥، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دط، دار المعرفة: بيروت، دت.

(٦) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب ٢/ ١٥١..

التمهيد: نداء الإسلام للإنسانية كلها: تعالوا إلى كلمة سواء:

صاغ الإسلام نظرية بناء الفرد المسلم صياغة ربانية، منزهة عن قصور الفكر البشري وعِثاره، فوضع أسس بناء الفرد، الذي يتناغم مع الحياة والأحياء، ولا يرىٰ في كون الله تعالىٰ إلا نعمة، ولا يرىٰ في شركائه في الخلق إلا أعوانا في طريق تمجيد الله تعالىٰ وتسبيحه وتعظيمه.

وبينما تصطرع النظريات البشرية في تصور الخلاف الفطري بين الخلق، يبحث الإسلام عن القواسم المشتركة بين بني آدم علىٰ اختلاف أديانهم ومشاربهم، لتكون جسورا للتواصل الإنساني الخلاق.

وإن من أعظم ما يدل علىٰ ذلك المعنىٰ في كتاب الله تعالىٰ، قوله عز من قائل: (قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ)[1].

ونداءات القرآن المتتالية والمتكررة (يا أيها الناس) (يا بني آدم) من أقوىٰ الدلائل علىٰ تلك العالمية التي يصوغ الإسلام في قالبها شخصية الفرد المسلم، فهو كائن كوني، لا يرىٰ الحياة بدون غيره من بني آدم، مهما اختلفت مشاربهم وأديانهم، ويضع الإسلام نظرية التعامل الحر الكريم مع الآخر، ويضمن له بذلك الحياة الكريمة وحرية الاختيار، ولو كان في ذلك معارضة لدين الله تعالىٰ.

---

(١) سورة آل عمران: ٦٤.

المبحث الأول: نظرة الإسلام للإنسان وأثرها في تحقيق الأمن في المجتمع:

إن النفس الإنسانية مُكَرَّمَةٌ ومُعَظَّمَة، وهذا الأمر على إطلاقه، وليس فيه استثناء بسبب لون أو جنس أو دين، قال تعالى في كتابه: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً)[1].

وما أبلغ وأروع الموقف الذي علَّمَنا إياه رسول الله ﷺ عندما مَرَّت به جنازة يهودي، فقد روى الإمام مسلم عن ابن أبي ليلى أن قيس بن سعد وسهل بن حُنَيْف كانا بالقادسية، فمرت بهما جنازة، فقاما، فقيل لهما: إنها من أهل الأرض فقالا: إن رسول الله ﷺ مرت به جنازة فقام، فقيل: إنه يهودي، فقال: «أَلَيْسَتْ نَفْسًا"[2].

والإنسان في الإسلام يساوي مجموع الإنسانية كلها، ويظهر ذلك في تعظيم حرمة الدماء في تشبيه سفك دم الفرد بسفك دماء الخلق جميعا، وفي تشبيه صيانة دم الفرد بصيانة دم الخلق جميعا. (مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ)[3].

وبذلك يكون الأمن المجتمعي ثمرة بناء الفرد على تلك المبادئ، حيث يُبنى الفرد المسلم أيضا على تعظيم كافة الحرمات، حرمات الأعراض، وحرمات الأموال، وحرمات الدماء.

هذه البناء مبناه وأساسه معرفة الله وتوحيده، واطلاع المسلم على تلك الثقافة المهمة التي يجب عليه أن يتعرف عليها؛ ليحسن التعامل مع تلك الحياة التي هي مِنَّة من الله تعالى، وتظهر هذه العلاقة بجلال من خلال دوائر ثلاث[4]:

---

(١) سورة الإسراء: ٧٠.

(٢) صحيح البخاري كتاب الجنائز، باب من قام لجنازة يهودي، ٢/ ٨٥، حديث رقم ١٣١٢، صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب القيام للجنازة، ٢/ ٦٦١، حديث رقم ٩٦١.

(٣) سورة المائدة: ٣٢.

(٤) يُنظر في هذا بحث د. ناصر محمد السيد إسماعيل، المواطنة في الإسلام، بحث مقدم للترقية إلى درجة أستاذ مساعد.

دوائر العلاقات الإنسانية في المنظور الإسلامي:

الدائرة الأولى: دائرة الإخوة الإيمانية:

هذه الأخوة التي تبني على قواسم مشتركة متجذرة من وحدة العقيدة والشريعة، ووحدة القيم والموازين، ووحدة التوجه والقصد، وحدة في العبادة، ووحدة في القدوة، ووحدة في الوجهة، ومن شأن هذا أن يجعل المسلمين جسدا واحدا.

قال تعالى ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[1]، فالأخوة الحقيقية لا تكون إلا بين المؤمنين، لأنها إخوة لا تنبني على أغراض ولا أهواء ولا مصالح، فهي محبة لله وفي الله، تصنع قنوات اتصال بين المسلم وإخوانه من المسلمين، غير تلك القنوات التي لا يتعارف الناس إلا عليها، كما أن المؤمنين لا يكونون إلا إخوة، فغير طبيعي أبدا أن تجد المجتمع المسلم أفرادا متنابذين متنافرين، لا رابط بينهم، فطبيعة المجتمع المسلم أن يوالي بعضهم بعضا، وأن يناصر بعضهم بعضا، قال تعالى ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[2].

ولا تقوم النصرة بين المسلمين على المغالبة بالباطل، بل تنبني هذه النصرة على موازين الحق والعدل والإنصاف، وإحالة الحق لأهله مهما كانوا، في الحديث الشريف:" عن أَنَسٍ ﷺ قال: قال رسول اللهِ "انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أو مَظْلُومًا قالوا يا رَسُولَ اللهِ هذا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا قال تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ"[3].

لقد كانت موازين الجاهلية: "انصر أخاك ظالما أو مظلوما" على المعنى المتبادر إلى الذهن من هذه الجملة، فمهما كان أخوك على حق أم على باطل، فأنت مطالب – حسب مفهوم الجاهلية – أن تنصره، أما الإسلام فليس الأمر بهذه الفوضوية، بل إيصال الحق إلى أهله ولو كانوا على غير دينك لبُّ الدين وأساسُه.

وقال ﷺ: "المؤمن من أهل الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، يألم المؤمن لما يصيب أهل الإيمان، كما يألم الرأس لما يصيب الجسد"[4]. وعن النعمان بن بشير ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:"المسلمون كرجل واحد؛ إن اشتكى عينه اشتكى كله، وإن اشتكى رأسه اشتكى كله"[5].

---

(1) سورة الحجرات: ١٠.

(2) سورة التوبة: ٧١.

(3) صحيح البخارى جـ٢ صـ٨٦٣ كتاب المظالم باب أعن أخاك ظالما أو مظلوما حديث رقم ٢٣١٢.

(4) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، الألباني، محمد ناصر الدين، ٣/ ١٢٩، حديث رقم ١١٣٧، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع: الرياض، ١٤١٥: ١٤٢٢هـ ١٩٩٥: ٢٠٠٢م.

(5) المرجع السابق، ٦/ ٦٦، حديث رقم ٢٥٢٦.

وقال ﷺ :"الْمُؤْمِنُونَ هَيِّنُونَ لَيِّنُونَ كَالْجَمَلِ الْأَنِفِ، إِنْ قِيدَ انْقَادَ، وَإِنْ أُنِيخَ اسْتَنَاخَ عَلَى صَخْرَةٍ "[1].

هناك علاقة خاصة يجب أن تكون بين المسلمين، هذه العلاقة أساسها إيمانهم بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد رسولا، وبالقرآن منهجا وكتابا، وهذه العلاقة الخاصة بينهم تعنى مزيدا من المودة والمحبة، ولا تعنى أبدا إعطاءهم ما ليسوا له بأهل، أو الحكم لهم بما ليس لهم بحق، بل المقصود بالموالاة على أساس الدين، أفضلية من يوافقني في الدين والمعتقد، وأحقيتهم بمزيد من الموالاة والنصرة والمعايشة لأفراحهم وأتراحهم، وهذا طبيعي ومنطقي وشرعي، فمكانة أخي من أبي وأمي أعظم من مكانة ابن عمى، وابن عمى أعز على من صاحبي، وهكذا، فالعلاقات الإنسانية متدرجة، والقرابة من أسباب وضع هذه العلاقة فى المصاف المتقدمة، والإسلام جاء بطرح فكري يتمثل فى قوله سبحانه وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾[2].

وقوله سبحانه: ﴿ لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[3].

فميزان الولاء والبراء في الإسلام هو الجنسية الجديدة التي استحدثها الإسلام، وهي جنسية الإسلام، وهذا الولاء والبراء، لا يعنى أبدا انتقاص حقوق الناس، أو الاستطالة عليهم، بل هو أعظم ضمان لإيصال الحقوق لأصحابها، واحترام آدمية الإنسان.

الدائرة الثانية: دائرة الإنسانية:

والأصل فيها قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾[4].

وكل الخطاب في القرآن الكريم بـ"يا أيها الناس" ويراد بها عموم الناس، فهي أيضا تصب في تأكيد الإسلام على حقوق أصحاب هذه الدائرة، وفيها ننتقل من حقوق إخوة الدين، إلى حقوق أخوة الآدمية.

---

(١) شعب الإيمان، البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى، ١٠/ ٤٤٧، حديث رقم ٧٧٧٧، تحقيق: د. عبد العلي حامد. ط١، مكتبة الرشد: بومباي الهند، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م. وحسنه الشيخ الألباني للشاهد في حديث "فإنما المؤمن كالجمل الأنف حيثما قيد انقاد" السلسلة الصحيحة ٢/ ٦١٠.

(٢) التوبة: ٢٣.

(٣) المجادلة: ٢٢.

(٤) سورة الإسراء: ٧٠.

وأساس التعامل بين المسلم وبين أصحاب هذه الدائرة البر والقسط، ويخرج منها من قال الله تعالى فيهم ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[1].

وما أظن الإنسانية تبلغ ما بلغه الإسلام في التأصيل والتقنين والحماية لتلك العلاقة بين بني الإسلام، وهي ليست مجرد تنظير ثقافي، بل مسؤولية يترتب على إهدارها جزاء في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا، فإن المسلم يُعاقب على إيذاء غير المسلمين، كما يُعاقب على إيذاء المسلم، فلقد ودَى النبي ﷺ رجلين كافرين قتلهما عمرو بن أمية الضمري؛ ظنا منه أنهما ممن قتل أصحابه في بئر معونة"[2].

وأما في الآخرة، فيقول المصطفى ﷺ: "عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ مَن قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاما"[3].

الدائرة الثالثة: دائرة الكونية:

ويُراد بها تلك العالمية، أو الكونية التي صاغ الإسلام أبناءه عليها، فالمسلم يفهم أن هذا الكون هو عطية الله تعالى، ومن ثم، فأي اعتداء على شيء في هذا الكون بدون وجه حق، فهو اعتداء على الله في المقام الأول، وانطلاقا من هذا المفهوم يتعامل المسلم مع الحياة ومع الأحياء.

فأي دين يجعل النار عقوبة لامرأة حبست هرة!!!

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: عُذِّبَتِ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ حَبَسَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ جُوعًا، فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ، قَالَ: فَقَالَ وَاللهُ أَعْلَمُ: لَا أَنْتِ أَطْعَمْتِهَا وَلَا سَقَيْتِهَا حِينَ حَبَسْتِيهَا، وَلَا أَنْتِ أَرْسَلْتِيهَا فَأَكَلَتْ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ"[4].

وليس ذلك من قبيل أخلاق أولئك الذين يقيمون مؤسسات لحماية الحيوانات، وهم يستبيحون دماء الآدميين، إن وسائل الإعلام كانت تنقل صور الرئيس الأمريكي السابق "جورج بوش الابن" وهو يحمل كلبته، في الوقت الذي كانت الطائرات

---

(1) سورة الممتحنة:9.

(2) المعجم الكبير للطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب، ٢٠/ ٣٥٦، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، ط٢، مكتبة ابن تيمية: القاهرة، دت.

(3) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، أبواب الديات، باب من قتل معاهدا، ٣/ ٦٩٢ـ حديث رقم ٢٦٨٦، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرين، ط١، دار الرسالة العالمية: بيروت، ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م.، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه، ٦/ ١٨٦، حديث رقم ٢٦٨٦.

(4) صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه) البخاري، محمد بن إسماعيل، كتاب الشرب والمساقاة، باب فضل سقي الماء، حديث رقم ٢٣٦٥. تحقيق: محمد زهير الناصر. ط١، دار طوق النجاة: السعودية، ١٤٢٢هـ.

الأمريكية تهلك الحرث والنسل في العراق، ولقد كتب الشاعر السعودي الأستاذ عبد الرحمن العشماوي هذا التناقض في الرحمة بالحيوان والإجرام الفاجر ببني الإنسان، فقال يخاطب جورج بوش الابن حين ماتت كلبته:

نعزيك في الكلبة الراحلة عزاء تُسرُّ به العائلة
نعزيك فيها وقد فارقت حياة برحمتكم حافلة
تُعزّيك أشلاء أطفالنا وجدران أوطاننا الفاصلة
تُعزيك أم رأت ابنها قتيلا ودوحتها ذابلة
تُعزيك غزة لم تنشغل بأخلاق غاصبها السافلة[1].

ولنخبر هؤلاء المردة من شياطين الإنس عن إخبار النبي ﷺ عن رجل غفر الله له لأنه سقىٰ كلبا، وعن بَغيّ غفر الله لها لأنها سقت كلبا، بل إن سقاية كل كائن ذي كبد رطبة فيه أجر.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ، فَوَجَدَ بِئْرًا فَنَزَلَ فِيهَا فَشَرِبَ ، ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَىٰ مِنَ الْعَطَشِ ، فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبَ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلُ الَّذِي كَانَ بَلَغَ مِنِّي! فَنَزَلَ الْبِئْرَ فَمَلَأَ خُفَّهُ مَاءً، ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ حَتَّىٰ رَقِيَ فَسَقَىٰ الْكَلْبَ، فَشَكَرَ اللهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَإِنَّ لَنَا فِي هَذِهِ الْبَهَائِمِ لَأَجْرًا؟ فَقَالَ: فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ[2].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ فَنَزَعَتْ مُوقَهَا فَسَقَتْهُ فَغُفِرَ لَهَا بِهِ"[3].

ولتستمع الدنيا كلها لهذا النداء القدسي الشريف من الرحمة للعالمين ﷺ حين يقول "اتقوا الله في هذه البهائم"!!!

ولهذه المقولة قصة.

خرج رسول الله ﷺ في حاجة، فمر ببعير مناخ علىٰ باب المسجد من أول النهار، ثم مر به آخر النهار وهو علىٰ حاله، فقال: "أين صاحب هذا البعير؟ "فابتغي فلم يوجد، فقال رسول الله ﷺ : "اتقوا الله في هذه البهائم، ثم اركبوها وكلوها سمانا

---

(١) انظر: شبكة الدفاع عن السنة https://www.dd-sunnah.net/forum/showthread.php?t=٢٦٩٧٧

(٢) صحيح مسلم، كتاب قتل الحيات وغيرها، باب فضل سقي البهائم المحترمة وإطعامها، حديث رقم ٢٢٤٤.

(٣) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، حديث رقم ٣٤٦٧.

كالمتسخط"[1]، هذا هو المجتمع المسلم، يأمن فيه الإنسان والحيوان.

تسمية غير المسلمين كفارا:

من الشبهات التي تثار، وتتخذ ذريعة من بعض أصحاب الأغراض من غير المسلمين، ومن المنافقين ممن ينتسبون إلى الإسلام، الآيات الكريمات التي وصفت غير المسلمين بالضلال والمغضوب عليهم والكفر، ومن ذلك قوله تعالى في سورة الفاتحة ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ ﴾[2]، وقوله تعالى ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[3]، وقوله تعالى ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[4].

وهذه الآيات القرآنية الكريمة دين ندين لله تعالى به، ولكن هذه الآيات توضح عقيدتنا في هؤلاء الناس، وهذه العقيدة حددها المولى جل وعلا، إلا أنه تعالى لم يطلب منا أن نبني علاقتنا مع هؤلاء الناس بناء على معطيات تلك الآيات الكريمات، وإنما حدد لنا سبحانه موقفنا من الآخر بناء على رحمته ورأفته وعطائه المادي الواسع، الذي لا يفرق بين مسلم وغير مسلم، ولكنه يُعطي مَن يقدم أسباب العطاء.

بل إن للكافر حقا على المسلم أن يدعوه إلى الله تعالى ويجادله في ذلك بالتي هي أحسن، وكفر الكافر ليس ذريعة لانتهاك حرماته أو الاعتداء عليه.

وتلك قمة العدالة وجلالها، فالمسلم يعتقد كفر كل من لا يؤمن بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد نبيا ورسولا وبالقرآن شرعة ومنهاجا، إلا أن هذه العقيدة، هي هي التي تأمرني بالعدل والبر مع هذا المخالف، وتأمرني أن أتصدق عليه، وتعدني الثواب الجزيل على صدقتي عليه، وتبيح لي أن آكل من طعامه، وأن أشرب من شرابه، وأن أتزوج إليه، وأن أعمل له، أو يعمل لي، وأن أجاوره ويجاورني، وأن أغض بصري عن محارمه، وألا أمد لسانا أو يدا بسوء إليه، وأن أتعايش معه، بل وأكثر من ذلك وضع

---

(١) مسند أحمد، حديث رقم ١٧٦٢٥، وقال محققو المسند: إسناده صحيح. تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرين. ط١، مؤسسة الرسالة: بيروت، ١٤٢١هـ ٢٠٠١م.

(٢) سورة الفاتحة: ٦، ٧.

(٣) سورة المائدة: ١٧.

(٤) سورة المائدة: ٧٢، ٧٣.

الحق سبحانه وتعالى عقوبات زاجرة لكل من تسول له نفسه أن يعتدى على هذا الآخر فيقول ﷺ:"عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ مَن قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاما[1].

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال من قتل معاهدا له ذمة الله وذمة رسوله لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين عاما[2].

ذلك منهج الإسلام في صياغة التصورات السليمة الصحيحة عند المسلم لنفسه ولغيره وللكون وللحياة وللأحياء، سلم وسلام، أمن وأمان، عدالة ورحمة.

---

(1) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، أبواب الديات، باب من قتل معاهدا، 3/ 692ـ حديث رقم 2686، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرين، ط1، دار الرسالة العالمية: بيروت، 1430هـ 2009م.، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه، 6/ 186، حديث رقم 2686.

(2) سنن ابن ماجه، أبواب الديات، باب من قتل معاهدا، 3/ 692، حديث رقم 2687، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه، 6/ 187، حديث رقم 2687.

المبحث الثاني: تربية الفرد في مواقعه الاجتماعية المختلفة، وأثرها في تحقيق الأمن في المجتمع:

يتدرج الفرد في مواقع اجتماعية مختلفة، فهو جنين وطفل وصبي وشاب وكهل وشيخ، وهو ابن وأخ وحفيد وجد وزوج، وجار وزميل، وثمّ تشريعات توجهه في كل هذه المواقع الاجتماعية، والالتزام بتلك التشريعات الإلهية أمنة وضمان لتحقيق السواء الاجتماعي لنفسه ولمجتمعه.

ومن صور ذلك أن يوجه الابن بالبر، والزوج بحسن العشرة، والأخ بالحفاظ على حقوق أخيه، والجار بالإحسان إلى جاره، وولاة الأمر بالعدل، وكذلك الخادم بالأمانة، وهكذا كل هذه التوجيهات تصل في النهاية الى تحقيق الأمن في المجتمع.

واضطلاع كُلٌّ بمسؤولياته المجتمعية هو في الحقيقة حافز للآخر ليقوم بمسؤولياته، (هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ)[1]، وتخلّي البعض عن مسؤولياته هو دعوة ضمنية بل صريحة لتخلي الآخرين، وكما تدين تُدان.

وفيما يلي عرض لبعض نماذج من تشريعات الإسلام التوجيهية للفرد في مواقعه الاجتماعية المختلفة.

المطلب الأول: الوالدية:

ونعني استشعار الأبوين للمسؤولية الملقاة على عاتقهم، والتي يعني الاضطلاعُ بها كفاية المجتمع ما يترتب على الإخلال بهذه المسؤولية من إفساد يصل إلى حد الجريمة، والجرائم التي تهدد المجتمع جراء الإخلال بمسؤولية الوالدية منها: عقوق الوالدين الذي قد يصل إلى قتلهم، وإفساد الأولاد الذي قد يؤدي إلى ارتكاب الجرائم وتعاطي المسكرات والمخدرات.

لقد نُقلت شهادات بالصوت والصورة قتل شخص تابع للجماعات الإرهابية ابن عمه في المملكة العربية السعودية، بعد أن استدرجه إلى مكان بعيد، وابن عمه يعمل في الشرطة، فقتله، وصوّر ذلك بالفيديو، وتم عرض الفعل الآثم على مواقع التواصل الاجتماعي[2].

وذكرت وسائل[3]. إعلام سعودية الجمعة ٢٤/ ٦/ ٢٠١٦م، أن توأمين يُعتقد أنهما على صلة بتنظيم داعش قتلا والدتهما، وحاولا قتل أبيهما وطعن أخيهما الثالث في حي الحمراء بالرياض.

---

(١) سورة الرحمن: ٦٠.

(٢) ففي قرية "سبطر" التابعة لمحافظة الشملي، والتي تبعد عن مدينة حائل حوالي ١٥٠ كيلو مترا بشمال المملكة العربية السعودية؛ قام سعد راضي عياش العنزي (٢٢ سنة) وأخوه عبد العزيز (١٦ سنة) بقتل ابن عمهما مدوس (٢١) سنة والذي كان قد تم تسجيله كعسكري بالقوات المسلحة بمحافظة الخرج قبل شهر من الحادثة. فقام سعد بعملية القتل بينما كان أخوه عبد العزيز يصور الحادثة. وذلك يوم الخميس ٢٤/ ٩/ ٢٠١٥م، وفي نفس اليوم، وقبل هذه الحادثة قتلا مواطنين أمام مخفر شرطة عمائر بن صنعاء بالشملي، ثم هجموا على مركز مرور المحافظة وقتلوا رجل أمن.

(٣) يراجع في ذلك بحث د. ناصر محمد السيد إسماعيل، عن ملامح الفكر الخارجي من خلال صحيح الإمام البخاري.

وقالت صحيفة الرياض على موقعها الإلكتروني أن الجريمة "لها دوافع إرهابية" مشيرة إلى أن السلطات الأمنية اعتقلت التوأمين.

وأقدم التوأمان فجر الجمعة على مطاردة الأخ الأصغر لهما والقبض عليه فوق سطح المنزل ثم تناوبا عليه بالطعن، حيث أفادت مصادر بأنه يرقد في وضع خطير بالعناية المركزة.

وتقول قناة العربية إنه بعد أن طعنا الأخ الأصغر توجه التوأمان إلى الوالد وقاما بسحبه وطعنه، ونقل إلى المستشفى في وضع حرج.

كما أدخل الشقيقان أمهما في أحد مستودعات المنزل وطعناها بالسكين إلى أن توفيت بسبب الطعنات التي أدت إلى وفاتها...

كما شهدت السعودية في شهر فبراير عام ٢٠١٦ جريمة قتل رجل الأمن/ بدر حمدي الرشيدي، وهو أحد منسوبي قوة الطوارئ الخاصة بمنطقة القصيم وقد تمت الجريمة على أيدي ستة من المنتمين لداعش من أبناء، وقد ظهروا في الفيديو وهما يبايعون أبا بكر البغدادي زعيم التنظيم الإرهابي"[١].

ومن النماذج الصادمة أن داعشيا قتل والده في المملكة العربية السعودية أيضا أثناء عملية مداهمة نفذتها الجهات الأمنية بمحافظة خميس مشيط، جنوب السعودية، للقبض عليه، بعدما أبلغ عنه والده بأنه يعتنق الفكر الإرهابي[٢].

لقد حفظ رسول الله ﷺ جميل المطعم بن عدي –وهو كافر ومات كافرا– حيث أجاره عند دخوله مكة بعد عودته من الطائف، فقال ﷺ في أسارى بدر من المشركين: "لو كان المطعم بن عدي حيا، ثم كلمني في هؤلاء النتنى لتركتهم له"[٣].

فانظر كيف يُؤتى المجتمع من مأمنه، ولا نعرف سببا لذلك إلا التفريط في التربية الإسلامية، التي هي أمان الأسرة والمجتمع، إن أبناءنا أمانة، وهم عجينة قابلة للتشكل، نستطيع بفضل الله تعالى وعن طريق غرس آداب الإسلام وأخلاقه أن نجنبهم وأنفسنا والمجتمع الخلل والزلل وسوء الفتن.

إن الدراسات تشير إلى أن "القدوة السيئة من قبل الوالدين، وإدمان أحد الوالدين، وانشغال الوالدين، وعدم التكافؤ بين الزوجين، وغياب رقابتهم، والقسوة الزائدة على الأبناء، وكثرة تناول الوالدين للأدوية والعقاقير، وضغط الأسرة على

---

(١) انظر: http://www.kurdistan٢٤.net/ar/newsreader/cda٥٣٣٤١-٦c٢٤-٤٢cd-٨٧a٦-٩٩df٩٠٩cb٦ff

(٢) انظر: الدواعش يقتلون ذويهم https://al-ain.com/article/١٨٨٥٧١

(٣) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب شهود الملائكة بدرا، ٥/ ٨٦، حديث رقم ٤٠٢٤.

الأولاد من أجل التفوق، وقلة الحوار الداخلي في الأسرة، أمورٌ تدفع الأبناء إلى الهروب الفعلي من البيت أو الهروب النفسي باللجوء إلى المخدرات وارتكاب الجرائم"[1].

إن من التدابير التي اتخذتها الأمم المتحدة في قرارها وخطة عملها بتاريخ الثامن من شهر سبتمبر ٢٠٠٦م؛ لمنع الجرائم الإرهابية ما صاغته فيما يلي: "الترويج لثقافة السلام والعدالة والتنمية البشرية، وللتسامح العرقي والوطني والديني، ولاحترام جميع الأديان أو القيم الدينية أو المعتقدات أو الثقافات، عن طريق القيام، حسب الاقتضاء، بوضع وتشجيع برامج للتثقيف والتوعية العامة تشمل جميع قطاعات المجتمع. وفي هذا الصدد، نحث منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة على الاضطلاع بدور رئيسي، بعدة طرق من بينها الحوار بين الأديان وداخلها والحوار بين الحضارات"[2].

ولقد سبق القرآن والسنة والتاريخ الإسلامي الأممَ المتحدة وغيرها بتشريعات أتم وأرقى وأكمل تحفظ للإنسان حرمته وكرامته مهما كان دينه ولونه، ونذكر الأمم المهيمنة على الأمم المتحدة (الولايات المتحدة الأمريكية، المملكة المتحدة، روسيا، الصين، فرنسا) بأن عنصرية الدين واللون لمّا تزل طاغية على الرغم من الغلالة الرقيقة من الديمقراطية المزعومة ولافتات الحرية والمساواة الزائفة، التي لا تلبث تتهتك كاشفة عن عورات هذه الدول مع المحكات العملية، وما تدخلات هذه الدول في الدول الإسلامية ودول أفريقيا ببعيدة عن العيان.

إن العالم كله يسمع ويرى أن أفريقيا ما تزال موزعة كمناطق نفوذ واستغلال على الدول العظمى (في احتلال واستنزاف ثروات الشعوب)، إن الذي أفقر أفريقيا التي تموت جوعا وهي تسبح على أنهار من الثروات الطبيعية، هي تلك الدول التي تُسمّى بالعظمى!!!

إن المستقرئ لسنة النبي ﷺ وسيرته، يقف على المثل الأعلى في الوالدية والاضطلاع بمسؤولياتها، وكيف لا يُنتزع الإنسان الأمين من مسؤولياته العائلية مهما غرق في مسؤوليات أخرى.

إن النبي ﷺ مع اضطلاعه بمسؤوليات الدعوة وإدارة الدولة، كان أبا وزوجا وجدا وذا رحم رحوم لا يغفل عن آله وعشيرته الأقربين، يربي ويوجه ويواسي ويرحم، وفيما يلي إطلالة موجزة على شيء من هذا:

---

(١) ظافر صلاح، أسباب تعاطي المخدرات والمخاطر الناجمة عن ذلك على الفرد والمجتمع والوطن ص٦، بحث مقدم إلى إدارة مكافحة المخدرات في الشرطة الفلسطينية برام الله، فلسطين، ٢٠١٦م. وانظر أيضا: المخدرات وآثارها النفسية والاجتماعية والاقتصادية في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، خالد حمد المهندي، ص٧٠، ٧١، وحدة الدراسات والبحوث، مركز المعلومات الجنائية لمكافحة المخدرات لمجلس التعاون لدول الخليج العربية، الدوحة، قطر، ٢٠١٣م.

(٢) استراتيجية الأمم المتحدة لمكافحة الإرهاب **https://www.un.org/counterterrorism/ctitf/ar/un-global-counter-terrorism-strategy**

إن مسؤوليات الدعوة والدولة لا تقطعه ﷺ من الاطمئنان على ابنه المسترضع في عوالي المدينة، ولا يكفيه أن ينيب عنه أحدا يطمئن عليه، أو يأتيه الخبر بذلك، بل يذهب بنفسه ﷺ ويطمئن على ابنه، يراه ويقبله.

فعن أنس بن مالك، قال: "ما رأيت أحدا كان أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ"، قال: " كان إبراهيم مسترضعا له في عوالي المدينة، فكان ينطلق ونحن معه فيدخل البيت وإنه ليدخن، وكان ظئره قينا، فيأخذه فيقبله، ثم يرجع"[1].

والحشمة المزعومة التي تقطع الإنسان عن أن يلاعب الأطفال ويضاحكهم ويمازحهم ويحنو عليهم يعيبها رسول الله ﷺ بفعله، فها هو معه جلة من أصحابه، فيرى الحسن بن علي يلعب مع الأطفال فيتقدمهم ويمازح الحسن ويلاعبه.

عن يعلى بن مرة أنه قال: خرجنا مع النبي ﷺ ودعينا إلى طعام فإذا حسين يلعب في الطريق، فأسرع النبي ﷺ أمام القوم، ثم بسط يديه، فجعل يمر مرة ها هنا ومرة ها هنا، يضاحكه حتى أخذه، فجعل إحدى يديه في ذقنه والأخرى في رأسه، ثم اعتنقه فقبله، ثم قال النبي ﷺ: "حسين مني وأنا منه، أحب الله من أحب الحسن والحسين ، سبطان من الأسباط"[2].

لقد كانت سعادة أطفال المدينة زمن النبي ﷺ أن يستقبلوه -وهو ﷺ أرحم الناس بالعيال- فيردفهم خلفه ويحملهم أمامه.

عن عبد الله بن جعفر، قال: " كان رسول الله ﷺ إذا قدم من سفر تلقي بصبيان أهل بيته، قال: وإنه قدم من سفر فسبق بي إليه، فحملني بين يديه، ثم جيء بأحد ابني فاطمة، فأردفه خلفه، قال: فأدخلنا المدينة، ثلاثة على دابة"[3].

بل ويشاطرهم الحزن في موت حيواناتهم الأليفة صلى ربي عليه وسلم، أرحم الخلق وأبرهم.

عن أنس بن مالك ﷺ يقول: إن كان النبي ﷺ ليخالطنا، حتى يقول لأخ لي صغير: "يا أبا عمير، ما فعل النغير"[4].

وكان الصحابة رضوان الله عليهم وفي مقدمتهم الخلفاء الراشدون على سنة النبي ﷺ في مداعبة الأطفال وملاعبتهم ومضاحكتهم.

فعن عقبة بن الحارث، قال: صلى أبو بكر ﷺ العصر، ثم خرج يمشي، فرأى الحسن يلعب مع الصبيان، فحمله على عاتقه، وقال: بأبي، شبيه بالنبي لا شبيه بعلي" وعلي يضحك"[5].

وحيث كانت المرأة توأد وتُهان ويُستسخر منها، إذا بها تُحمل على أشرف عاتق.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب رحمته صلى الله عليه وسلم الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك، حديث رقم ٢٣١٦.

(٢) الأدب المفرد، البخاري، محمد بن إسماعيل، باب معانقة الصبي، ص١٣٣، حديث رقم ٣٦٤. وحسنه الشيخ الألباني.

(٣) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب فضائل عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما، حديث رقم، ٢٤٢٨.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الانبساط إلى الناس، حديث رقم ٦١٢٩.

(٥) صحيح البخاري، كتاب المناقب باب صفة النبي ﷺ، حديث رقم ٣٥٤٢.

فعن قتادة ﷺ قال: "خرج علينا النبي ﷺ وأمامة بنت أبي العاص على عاتقه، فصلى، فإذا ركع وضع، وإذا رفع ولا تمنعه ﷺ العبادة، وأعلاها وأعظمها الصلاة من أن يقضي مآرب الأطفال ويُحسن إليهم ويرضيهم ويلاعبهم، حتى وهو بين يدي ربه.

عن عبد الله بن شداد، عن أبيه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ في إحدى صلاتي العشاء وهو حامل حسنا أو حسينا، فتقدم رسول الله ﷺ فوضعه، ثم كبر للصلاة فصلى فسجد بين ظهراني صلاته سجدة أطالها، قال أبي: فرفعت رأسي وإذا الصبي على ظهر رسول الله ﷺ وهو ساجد فرجعت إلى سجودي، فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة قال الناس: يا رسول الله، إنك سجدت بين ظهراني صلاتك سجدة أطلتها حتى ظننا أنه قد حدث أمر أو أنه يوحى إليك، قال: " كل ذلك لم يكن ولكن ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته"(٢).

ولتقف الدنيا، والرافعون عقيرتهم بأخلاق الفرسان ونبلاء الرجال **gentlemens**، فهذا محمد ﷺ يقوم في عصر الذين كانوا يئدون بناتهم، يقوم لابنته ويأخذ بيدها، ويجلسها مكانه ﷺ .

عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: ما رأيت أحدا من الناس كان أشبه بالنبي ﷺ كلاما ولا حديثا ولا جلسة من فاطمة، قالت: وكان النبي ﷺ إذا رآها قد أقبلت رحب بها، ثم قام إليها فقبلها، ثم أخذ بيدها فجاء بها حتى يجلسها في مكانه، وكانت إذا أتاها النبي ﷺ رحبت به، ثم قامت إليه فقبلته، وأنها دخلت على النبي ﷺ في مرضه الذي قبض فيه ، فرحب وقبلها، وأسر إليها، فبكت، ثم أسر إليها، فضحكت، فقلت للنساء: إن كنت لأرى أن لهذه المرأة فضلا على النساء ، فإذا هي من النساء ، بينما هي تبكي إذا هي تضحك، فسألتها : ما قال لك ؟ قالت : إني إذا لبذرة ، فلما قبض النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالت : أسر إلي فقال: "إني ميت"، فبكيت، ثم أسر إلي فقال: "إنك أول أهلي بي لحوقا " ، فسررت بذلك وأعجبني"(٣).

وهذا رسول الله ﷺ يؤصل لنا حق ولي المرأة في أن يرفض الزواج عليها وأن يطلب طلاقها إذا كان هذا يسوؤها، أو لم تكن الزوجة الثانية كُفئا للأولى.

عن المسور بن مخرمة، قال: إن عليا خطب بنت أبي جهل فسمعت بذلك، فاطمة فأتت رسول الله ﷺ، فقالت: يزعم قومك أنك لا تغضب لبناتك، وهذا علي ناكح بنت أبي جهل، فقام رسول الله ﷺ، فسمعته حين تشهد، يقول: أما بعد أنكحت أبا

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، حديث رقم ٥٩٩٦.

(٢) السنن الصغرى، النسائي، أحمد بن شعيب، كتاب التطبيق، باب هل يجوز أن تكون سجدة أطول من سجدة، ٢/ ٥٠٢، حديث رقم ١١٥٢. تحقيق: مركز البحوث بدار التأصيل. ط١، دار التأصيل: القاهرة، ١٤٣٣هـ ٢٠١٢م.

(٣) الأدب المفرد للبخاري، باب قيام الرجل لأخيه، ص٣٢٦، حديث رقم ٩٤٧.

العاص بن الربيع، فحدثني وصدقني، وإن فاطمة بضعة مني وإني أكره أن يسوءها، والله لا تجتمع بنت رسول الله ﷺ وبنت عدو الله عند رجل واحد، فترك علي الخطبة"[1].

ويفهم هذا من قوله ﷺ: "وإني لست أحرم حلالا ولا أحلل حراما ولكن والله لا تجمع بنت رسول الله وبنت عدو الله عند رجل أبدا"[2].

و"السياق يشعر بأن ذلك مباح لعلي لكنه منعه النبي ﷺ رعاية لخاطر فاطمة"[3].

أترانا إذا جعلنا شيئا من أوقاتنا لأبنائنا، نلاعبهم وندعبهم ونمزح معهم، ونشاركهم ما يحبون، ونشاطرهم ما يكرهون، أترىٰ هذه الذرية تقسو علىٰ نفسها وعلىٰ أهلها وعلىٰ مجتمعها؟!

لقد تلظينا بنير أبنائنا يوم أحرقناهم بنار القسوة والإهمال.

الأسرة حصن الأمن المجتمعي في الإسلام

كانت الكنيسة ورجالها كابوسا جثم علىٰ صدر البلاد والعباد في أوروبا، وحينما تخلصت أوروبا من جثوم الكنيسة عليها، أشارت بأصابع الاتهام إلىٰ الدين كله، ولم تفرق بين دين ودين، وفي شكها وارتيابها ألّهت العقل، واتبعت ابتكاراته حذو النعل بالنعل. وكان من إفرازات العقل الأوروبي الهجوم علىٰ الأسرة باعتبارها "مسألة اجتماعية لا تنشأ من دوافع اجتماعية ولا ميول فردية، وإنما هي من صنع العقل الجمعي... فهي شيء تحت تصرف المجتمع، إن شاء أبقاها، وإن شاء أزالها من الوجود، وإذا عن للمجتمع أن يعود إلىٰ حالة الفوضى الجنسية، فهو وشأنه، لا معقب لكلماته، لأنه لا يُسأل عما يفعل، ولكن الأفراد يُسألون. والأسرة ضرورة اقتصادية حتمها اعتماد المرأة علىٰ الرجل، فاضطرت أن تخضع لأنانيته الجائرة، التي تلزمها بأن تكون له وحده، ولا تكون لجميع الرجال علىٰ السواء، وابتدع الرجل أخلاقا، تحيط الأسرة بالقداسة الكاذبة، ليضمن أن تظل المرأة في خدمته وحده، وجاء الدين فزاد في تلك الهالات الكاذبة، ولكن العالم اليوم قد تغير، وخرجت المرأة نهائيا من أسر الرجل، لأنها صارت تعمل، لقد أصبحت حرة، تهب جسدها لمن تشاء"[4].

تلك أهم الأفكار التي اختلقها العقل الإنساني، ونشرها وأراد أن يطبقها بل طبقها في حياة الناس.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب ذكر أصهار النبي ﷺ، حديث رقم ٥٢٣٠.

(٢) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل فاطمة بنت النبي عليها الصلاة والسلام، حديث رقم ٢٤٤٩.

(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر، أحمد بن حجر العسقلاني، ٩/ ٣٢٩، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، محب الدين الخطيب، عبد العزيز بن باز، دط، دار المعرفة: بيروت، ١٣٧٩ه.

(٤) الإنسان بين المادية والإسلام، محمد قطب، ص١٨٠، ط١٠، دار الشروق: القاهرة، ١٤٠٨، ١٩٨٨م.

أما في الإسلام فاقتران الرجل والمرأة آية من آيات الله، (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)[1]. فهي سنة من سننه تعالى في الخلق، وحجر الزاوية في بناء المجتمع السليم.

إن لعلاقة الرجل بالمرأة أبعادا أخرى غير البُعد الجنسي -والذي هو من وجهة النظر الإسلامية من الأهمية بمكان- هناك البُعد النفسي: المودة والرحمة، الشراكة في تحقيق مراد الله تعالى من استخلاف الإنسان في الأرض، بصورة محترمة كريمة، تليق بهذا الكائن المكرم من رب العالمين، وتحقيق الاستقبال الكريم للإنسان بين أبوين، اجتمعا على سنة الله في الخلق، وعلى رعاية هذا الكائن الأول في الوجود بما أودع الله تعالى فيهما من غرائز فطرية لا تنفك عنهما ولا يستطيعان، أما تلك الصورة المقيتة التي رسمها العقل المزعوم، المنفلت من ربقة الدين والمنطق، فهي وساوس الشيطان وهواجس النفس الأمارة بالسوء يَؤُزَّان الإنسانية إلى حتفها أزاً.

وإلى جانب الاستعداد الفطري عند الوالدين للاضطلاع بمسؤولية البيت وتربية الأولاد؛ تستمر التوجيهات الشرعية في توجيههم إلى حسن الأداء لتلك الأمانة.

قال الله تعالى: (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ)[2]، وذلك "بترك المعاصي وفعل الطاعات، وبالنصح والتأديب"[3]، فيقوم على أهله "بأمر الله يأمرهم به ويساعدهم عليه، فإذا رأيت لله معصية ردعتهم عنها، وزجرتهم عنها"[4].

وعن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: "مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها، وهم أبناء عشر وفرقوا بينهم في المضاجع"[5].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " كفى بالمرء إثما أن يضيع من يقوت"[6].

---

(١) سورة الروم: ٢١.

(٢) سورة التحريم: ٦.

(٣) تفسير البيضاوي، عبد الله بن عمر ٥/ ٣٥٧، دط، دار الفكر: بيروت، دت.

(٤) الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، حكمت بشير، ٤/ ٥١١، ط١، دار المآثر: المدينة المنورة، ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.

(٥) سنن أبي داود، أبو داود، سليمان بن الأشعث بن بشير بن شداد الأزدي السجستاني، كتاب الصلاة، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة، ١/ ٣٦٧، حديث رقم ٤٩٥، تحقيق شعيب الأرناؤوط، محمد بللي، ط١، دار الرسالة العالمية: بيروت، ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م. وقال الشيخ الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي: حسن صحيح، برقم ٤٩٥.

(٦) مسند أحمد، ١١/ ٣٦، حديث رقم ٦٤٩٥، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرين. ط١، مؤسسة الرسالة: بيروت، ١٤٢١هـ ٢٠٠١م. وقال محققو المسند: حديث صحيح لغيره. وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع، حديث رقم ٤٤٨١.

"أَي من يلْزمه قوته، وَأفَاد وجوب نَفَقَة من يقوت؛ لتعليقه الْإِثْم على تَركه وَالْكَلَام فِي مُوسر فَيلْزم الْقَادِر نَفَقَة عِيَاله"[1]. "وفيه بيان أن ليس للرجل أن يتصدق بما لا يفضل عن قوت أهله يلتمس به الثواب، فإنه ينقلب إثما"[2]. وقيل: إضاعته ترك إصلاحه والقيام عليه، قيل: وهو إنفاقه في غير وجهه من الباطل والسَّرَف"[3].

وفي ذلك الصدد أيضا التوجيه النبوي الكريم بمسؤولية الرجل والمرأة في بيتهم.

فعن عبد الله بن عمر ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: " كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته، الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته" قال: - وحسبت أن قد قال - "والرجل راع في مال أبيه ومسؤول عن رعيته، وكلكم راع ومسؤول عن رعيته"[4].

وَقَالَ عبد الله بن عمر: أدّب ابْنك فَإِنَّك مسؤول عَنهُ مَاذَا أدبته وماذا عَلمته وَهُوَ مسؤول عَن برك وطواعيته لَك"[5].

وقد أسهب الإمام ابن القيم في كتابه "تحفة المودود بأحكام المولود" في بيان حقوق الأولاد على آبائهم، الأمر الذي يوضح النظرية الإسلامية في تأسيس البيت، وتربية الذرية، والذي هو الأساس المتين لبناء المجتمع.

إن اضطلاع الأم والأب بمسؤولياتهم تجاه أبنائهم على المنهج القرآني والنبوي أمنة للأسرة، وأمنة للمجتمع.

وما تلظّى الآباء والأمهات بعقوق أبنائهم إلا بسبب انشغالهم عنهم، وإهمالهم تربيتهم، وتفريطهم فيما وصاهم الله تعالى به.

المطلب الثاني: الزوجية:

ونعني بها اضطلاع كلا الزوجين بمسؤولياتهما تجاه بعضهما البعض، مما يضمن الصحة الدينية والنفسية والعقلية لكيان الأسرة كله.

---

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير، المناوي، عبد الرؤوف بن تاج العارفين ٢/ ٢٠٧، ط٣، مكتبة الإمام الشافعي: الرياض، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

(٢) شرح السنة، البغوي، الحسين بن مسعود. تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد الشاويش، ط٢، المكتب الإسلامي: دمشق وبيروت، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

(٣) مشكل الصحيحين، ابن قرقول: إبراهيم بن يوسف الحمزي ص٢٩٣، تحقيق: جميل عويضة.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن، حديث رقم ٨٩٣.

(٥) تحفة المودود بأحكام المولود، ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب ص٢٢٥. تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، ط١، مكتبة دار البيان: دمشق، ١٣٩١هـ ١٩٧١م.

تبدأ الزوجية عند الأب الذي تتثال عليه التوجيهات النبوية الشريفة بحسن اختيار الزوجة، التي ستمثل معه أمن البيت وأمانه، والتي ستكون قاعدة الحب، والمودة والرحمة، والتربية الحسنة في البيت.

ففي الصحيح عن عبد الله بن عمرو، أن رسول الله ﷺ قال: "الدنيا متاع، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة"(١).

وعن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ قال: تخيروا لنطفكم، فانكحوا الأكفاء، وأنكحوا إليهم"(٢).

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: "تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين، تربت يداك"(٣).

وثمّ توجيهات للمرأة بأن تقبل ذا الدين إذا تقدم لها، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض، وفساد عريض"(٤).

ومفهوم المخالفة من هذا أن ترفض فاسد الدين، ولقد أعطاها الشرع الحق أن ترفض، وليس لوليها أن يجبرها على الزواج ممن تكره.

فعن عائشة قالت: جاءت فتاة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، إن أبي زوجني ابن أخيه يرفع بي خسيسته، فجعل الأمر إليها. قالت: فإني قد أجزت ما صنع أبي، ولكن أردت أن تعلم النساء أن ليس للآباء من الأمر شيء"(٥).

فتنبني علاقة الزوجية على أسس سليمة، وتوافق بين الرجل والمرأة، ليصح لهم بعد ذلك مراد الله تعالى من هذا البنيان الاجتماعي الشريف، (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)(٦).

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الرضاع، باب خير متاع الدنيا المرأة الصالحة، حديث رقم ١٤٦٧.

(٢) المستدرك على الصحيحين، الحاكم، محمد بن عبد الله بن محمد، ٢/ ١٧٦، حديث رقم ٢٦٨٧، تحقيق: مصطفى عطا، ط١، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٤١١هـ ١٩٩٠م.

(٣) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الأكفاء في الدين، حديث رقم ٥٠٩٠.

(٤) جامع الترمذي، الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى الضحاك، أبواب النكاح عن رسول الله ﷺباب ما جاء إذا جاءكم من ترضون دينه فزوجوه، ٣/ ٣٨٦، حديث رقم ١٠٨٤، تحقيق: أحمد محمد شاكر، محمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة. ط٢، مطبعة مصطفى البابي الحلبي: القاهرة، ١٣٩٥هـ ١٩٧٥م.

(٥) مسند أحمد، ٤١/ ٤٩٢، حديث رقم ٢٥٠٤٣، وقال محققو المسند: حديث صحيح.

(٦) سورة الروم: ٢١.

وتستمر توجيهات الشرع في حراسة الأسرة وحمايتها، فيأمر الرجل بحسن العشرة، (وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا)[1].

"نزلت في الرجل يَكره المرأة، فيمنعها -كراهيةً لها- حقَّ اللهَّ في عشرتها بالمعروف، ويحبسها مانعاً لحقها؛ ليرثها من غير طيب نفس منها، بإمساكه إياها على المنع، فحرّم اللهَّ تعالى ذلك على هذا المعنى... وأمر اللهَّ في اللاتي يكرههُن أزواجهن -ولم يأتين بفاحشة- أن يُعاشَرن بالمعروف، وذلك بتأدية الحق، وإجمال العشرة... فأباح عشرتهن على الكراهية بالمعروف، وأخبر أن الله -عز وجل- قد يجعل في الكُره خيراً كثيراً، والخير الكثير: الأجر في الصبر، وتأدية الحق إلى من يَكره، أو التطول عليه، وقد يغتبط وهو كاره لها بأخلاقها ودينها، وكفاءتها، وبذلها، وميراث إن كان لها"[2].

وتتوالي التوجيهات النبوية للرجل في بيان حقوق زوجته عليه، وهي ليست حقوقا موسمية، إنما هي معاشرة بالمعروف دائمة، وإحسان مستمر، فعن حكيم بن معاوية القشيري عن أبيه قال: قلت: يا رسول الله، ما حق زوجة أحدنا عليه؟ قال: "أن تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت، أو اكتسبت، ولا تضرب الوجه، ولا تقبح، ولا تهجر إلا في البيت"[3].

بل تنزل آية قرآنية كريمة توجه الرجل في أخص علاقاته بالمرأة، قال تعالى: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ)[4].

وترتفع التوجيهات النبوية بالعلاقة الخاصة بين الرجل وزوجته إلى درجة العبادة والتقرب إلى الله تعالى.

فعَنْ أَبِي ذَرٍّ أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ: يَا رَسُولَ الله، ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالْأُجُورِ يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ قَالَ: أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللهُ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُونَ، إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةً، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ، وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونَ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟ قَالَ: أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرًا"[5].

وأرقى من هذا وأسمى حينما تصبح ملاطفة الرجل بوضع اللقمة في فمها من الصدقات.

---

(١) سورة النساء: ١٩.

(٢) تفسير الإمام الشافعي، الشافعي، محمد بن إدريس ٢/٥٥٨، جمع وتحقيق: أحمد الفرّان. ط١، دار التدمرية: المملكة العربية السعودية، ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م.

(٣) سنن أبي داود، كتاب النكاح، باب في حق المرأة على زوجها، حديث رقم ٢١٤٢. وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، حديث رقم ٢١٤٢.

(٤) سورة البقرة: ٢٢٢، ٢٢٣.

(٥) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، حديث رقم ٢٣١٥.

عن سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: مَرِضْتُ بِمَكَّةَ مَرَضًا، فَأَشْفَيْتُ مِنْهُ عَلَى الْمَوْتِ، فَأَتَانِي النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُنِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ لِي مَالًا كَثِيرًا وَلَيْسَ يَرِثُنِي إِلَّا ابْنَتِي، أَفَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثَيْ مَالِي؟ قَالَ: لَا، قَالَ: قُلْتُ: فَالشَّطْرُ؟ قَالَ: لَا، قُلْتُ: الثُّلُثُ؟ قَالَ: الثُّلُثُ كَبِيرٌ، إِنَّكَ إِنْ تَرَكْتَ وَلَدَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَتْرُكَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ، وَإِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا، حَتَّى اللُّقْمَةَ تَرْفَعُهَا إِلَى فِي امْرَأَتِكَ..."[1].

فهاتوا لنا يا عباد الله منهجا أو مذهبا أو دينا يرتفع بالعلاقة الخاصة وملاطفة الرجل أهله والإحسان إليها إلى درجة التقرب إلى الله تعالى، وما إخالكم واجدين!!!

والعلاقة بين الرجل والمرأة ليست جسدية فحسب، بل إن لها بُعدا روحيا رائعا، حيث يتعاون الرجل والمرأة على عبادة الله تعالى، ومن أقرب إليها منه وأقرب إليه منها ليتعاونا على هذا، وهو لباسٌ لها وهي لباسٌ له؟

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "رحم الله رجلا قام من الليل فصلى، وأيقظ امرأته فصلت، فإن أبت نضح في وجهها الماء، رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت، وأيقظت زوجها، فإن أبى نضحت في وجهه الماء"[2].

في هذا الجو الراقي الرائع السامي ينبغي أن تُربى الذرية، يعتادون الأمن الداخلي، والراحة النفسية، وطمأنينة القلب، وأنوار العبادة والطاعة، ونفحات الإحسان والعشرة بالمعروف، فأي غرس طيب مبارك ينبت في هذه الأرض الطيبة؟ وهل يمكن أن تُخرج هذه الأرض الطيبة نباتا خبيثا؟! اللهم لا.

ويُكلل كل هذا بالتوجيهات الشرعية الدائمة للوالدين برُقية الأولاد والدعاء لهم، فهي أدعية مقبولة بإذن الله تعالى.

عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كان النبي ﷺ يعوذ الحسن والحسين، ويقول: "إن أباكما كان يعوذ بها إسماعيل وإسحاق: أعوذ بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة"[3].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: "احبسوا صبيانكم حتى تذهب فوعة العشاء، فإنها ساعة تخترق فيها الشياطين"[4].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الفرائض، باب ميراث البنات، حديث رقم ٦٧٣٣.

(٢) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب قيام الليل، حديث رقم ١٣٠٨. وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود، حديث رقم ١٤٥٠.

(٣) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى (واتخذ الله إبراهيم خليلا)، حديث رقم ٣٢٤٣.

(٤) مسند أحمد، ٢٣/ ١٧٢، حديث رقم ١٤٨٩، وقال محققو المسند: حديث صحيح، وهذا إسناد قوي. وصححه الألباني في صحيح الجامع، حديث رقم ١٨٢.

هذه صورة موجزة عن الظلال الوارفة التي ألقت بها النصوص الشرعية على علاقة الزوجية، بداية من تأسيسها وعدّها آية من آيات الله تعالى، ومرورا بالأمر بالعشرة بالمعروف وابتغاء الله تعالى في الإحسان إلى الزوجة وملاطفتها، وانتهاء بالتوجيه إلى ما يحفظ هذه الأسرة وبراعمها من شرور الإنس والجن.

في هذه الأجواء الطيبة المباركة، يأمن المجتمع، وتكون الذرية قرة أعين للأبوين وللمجتمع كله.

المطلب الثالث: البنوة:

ونعني موقع الإنسان في المجتمع كابن، ومن ثم اضطلاع الأبناء بمسؤوليتهم تجاه آبائهم.

إن الإنسان مفطور على الاهتمام بأبنائه والاهتمام بهم، وبذل الغالي والنفيس لهم، وتقديمهم على مَن سواهم من الناس، ولذلك جاءت التوجيهات الشرعية حاثة على البر بهما ورعايتهما، والنهي عن عقوقهما.

وإننا إذا أردنا التنويه بملمح من ملامح الخلل الجذري في المجتمع، فلسوف يكون بغير شك الخلل في القيام بمسؤوليات البنوة.

قال الله تعالى: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾[1].

أمر الله تعالى "بالإحسان إلى الوالدين ومراعاة حقّهما، والوقوف عند إشارتهما، والقيام بخدمتهما، وملازمة ما كان يعود إلى رضاهما وحسن عشرتهما ورعاية حرمتهما، وألا يُبدئ شواهد الكسل عند أوامرهما، وأن يبذل المكنة فيما يعود إلى حفظ قلوبهما ... هذا في حال حياتهما، فأمّا بعد وفاتهما فبصدّق الدعاء لهما، وأداء الصدقة عنهما، وحفظ وصيتهما على الوجه الذي فعلاه، والإحسان إلى مَن كان من أهل ودّهما ومعارفهما؟"[2].

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: أَبَرُّ الْبِرِّ أَنْ يَصِلَ الرَّجُلُ وُدَّ أَبِيهِ"[3].

"وفي هذا فضل صلة أصدقاء الأب والإحسان إليهم وإكرامهم، وهو متضمن لبر الأب وإكرامه، لكونه بسببه وتلتحق به أصدقاء الأم والأجداد والمشايخ والزوج والزوجة"[4].

---

(١) سورة الإسراء: ٢٣، ٢٤.

(٢) لطائف الإشارات، القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك ٢/ ٣٤٤، تحقيق: إبراهيم البسيوني. ط٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب: مصر، دت.

(٣) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة أصدقاء الأب والأم ونحوهما، حديث رقم ٢٥٥٢.

(٤) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، يحيى بن شرف، ١٦/ ١١٠ ط٢، دار إحياء التراث العربي: بيروت، ١٣٩٢هـ.

بل إنه من المواثيق التي أخذها الله تعالى على الأمم قبل أمة محمد ﷺ، قال تعالى: (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ)[1]، وجاء الأمر للخلق عاما بالإحسان للوالدين مباشرة بعد الأمر بعبادته تعالى والنهي عن الإشراك به، (وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ)[2]، (قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)[3].

واختار الله تعالى الإحسان إلى الوالدين شعارا لأهل جنته ودار كرامته، فقال تعالى: (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ)[4].

واختار عقوق الوالدين شعارا وشنارا على أهل النار والخسار، فقال سبحانه: (وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ)[5].

وجاءت السنة الشريفة بوضع الوالدين على رأس قائمة الأحق بإحسان الصحبة والمعاملة.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: أُمُّكَ، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ أُمُّكَ، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: أُمُّكَ، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ أَبُوكَ"[6].

---

(١) سورة البقرة: ٨٣.

(٢) سورة البقرة: ٨٣.

(٣) سورة الأنعام: ١٥١.

(٤) سورة الأحقاف: ١٥، ١٦.

(٥) سورة الأحقاف: ١٧، ١٨.

(٦) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب من أحق الناس بحسن الصحبة، حديث رقم ٥٩٧١. وصحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب بر الوالدين وأهما أحق به، حديث رقم ٢٥٤٨.

وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ، عَنْ أَبِيهِ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ، ثَلَاثًا، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: الْإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ وَجَلَسَ، وَكَانَ مُتَّكِئًا، فَقَالَ: أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ قَالَ: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ"(١).

ويجعل النبي ﷺ السعي عليهما وإكرامهما والبر بهما بابا من أبواب الجهاد في سبيل الله تعالى.

فعن عبد اللهِ بْنَ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا يَقُولُ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَاسْتَأْذَنَهُ فِي الْجِهَادِ فَقَالَ: أَحَيٌّ وَالِدَاكَ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ"(٢).

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، أن رجلا أتى النبي ﷺ يخاصم أباه، فقال: يا رسول الله، إن هذا قد اجتاح مالي؟ فقال رسول الله ﷺ: "أنت، ومالك لأبيك"(٣).

ومن شأن هذه التوجيهات أن تتكامل مع مسؤولية الوالدية، والتي تحقق الصلاح والأمان في الأسرة، والتي تؤسس بدورها لأمن المجتمع وسلامه ككل.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب ما قيل في شهادة الزور، حديث رقم ٢٦٥٤. وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، حديث رقم ٨٧.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الجهاد بإذن الأبوين، حديث رقم ٣٠٠٤. وصحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب بر الوالدين وأنهما أحق به، حديث رقم ٢٥٤٩.

(٣) مسند أحمد، حديث رقم ٦٩٠٢، وقال محققو المسند: حسن لغيره.

المبحث الرابع: صلة الأرحام:

ونعني بها المسؤوليات التي يجب أن يضطلع بها الفرد داخل المجتمع كأخ وعم وخال، والتي تمثل لبنة في تمام بنيان الأمن المجتمعي في الأمة، فإن صحة وسلامة العلاقات داخل المجتمع ينتج عنها بالضرورة صحة وسلامة الفكر والسلوك الإنساني، إذ ليس المجتمع أبا وأما فقط، بل أيضا أخوة وعمومة وخؤولة وغير ذلك من الروابط الاجتماعية التي تمثل شرايين نقل الدم إلى القلب، وكلما كانت سليمة معافاة كلما كان نقل الدم إلى هذا القلب سلسا، وكلما كانت صحته أتم وأحسن.

وإذا كان غاية ما يطمح إليه الحكيم -بعد رضا الله تعالى- طول العمر وسعة الرزق وبقاء الأثر؛ فإن الإسلام يوجه إلى أن صلة الأرحام سبب لكل هذه المعاني مع رضا الله تعالى عن الواصل.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَأَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ"[1]، وكأنها رسالة طمأنة لقلب المسلم أن يهتم بمرضاة ربه بصلة رحمه، وفي مقابل هذا يؤمنه الله تعالى على أجله ورزقه وبقاء أثره، والتي هي هاجس دائم عند الناس جميعا.

وإذا كانت صلة الرحم غير المسلمة مندوبة في الإسلام، فهل يُتوقع ممن هذا دينه وخلقه أن يمد لهم يدا أو لسانا بسوء؟! أين هذا مما فعله الخوارج الذين قتلوا آباءهم وأمهاتهم وأبناء عمومتهم وإخوانهم؟!!!

وقد تواترت الأوامر الشرعية بالأمر بصلة الأرحام والتحذير من قطعها.

قال الله تعالى: (أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ)[2].

أي "أصمّهم عن سماع الحقّ وقبوله بقلوبهم، وأعمى بصائرهم"[3]، أولئك الذين أفسدوا في الأرض وقطعوا أرحامهم، وقرن الله تعالى بين جريمتي الإفساد في الأرض وتقطيع الأرحام، وكأنهم متلازمتان، فماذا تنتظر ممن قطّع أرحامه وفرط في وصية الله تعالى بها أن يكون في علاقته بالمجتمع كله؟

وقال تعالى: (وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنكُمْ ۚ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)[4].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب من بسط له في الرزق بصلة الرحم، حديث رقم ٥٩٨٥. وفي صحيح مسلم عن أنس بن مالك، كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها، حديث رقم ٢٥٥٧.

(٢) سورة محمد: ٢٣.

(٣) لطائف الإشارات، القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك، ٣/ ٤١٢، تحقيق: إبراهيم البسيوني، ط٣، الهيئة المصرية للكتاب: القاهرة، دت.

(٤) سورة الأنفال: ٧٥.

وقال عز من قائل: (ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا)[1].

والآيتان فيهما إشارة إلى ما كان أول الإسلام من التوارث على أخوة الإسلام، ثم نُسخ هذا الحكم، ورجع إلى التوارث إلى آصرة النسب والدم[2].

والتسمية بالرحم والأرحام فيها إشارة على ما ينبغي من مزيد المودة والرحمة بين أهل هذه الآصرة، فـ"الرحم: رحم المرأة... ومنه استعير الرحم للقرابة؛ لكونهم خارجين من رحم واحدة"[3]، "والرحمة رقة تقتضي الإحسان إلى المرحوم وتستعمل تارة في الرقة المجردة وتارة في الإحسان"[4].

ومن بديع ما قيل في علاقة الرحم أن "صلة الرحم ليست بمقاربة الديار وتعاقب المزار، ولكن بموافقة القلوب، والمساعدة في حالتي المكروه والمحبوب:

أرواحنا في مكان واحد وغدت أشباحنا بشامٍ أو خراسان[5]

ففي التسمية نفسها دلالة على اهتمام الإسلام بتلك الآصرة، وعدها أصلا من أصول العلاقات الاجتماعية في الإسلام، وكونها ركنا من الأركان التي يؤدي إهمالها إلى تشوه المجتمع وتداعيه.

وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: قَالَ اللهُ تَعَالَى: أَنَا الرَّحْمَنُ، وَهِيَ الرَّحِمُ شَقَقْتُ لَهَا اسْمًا مِنَ اسْمِي مَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَهَا بَتَتُّهُ"[6].

---

(١) سورة الأحزاب: ٦.

(٢) النكت والعيون، الماوردي، محمد بن محمد بن حبيب البصري ١/ ٤٧٩، تحقيق السيد عبد المقصود عبد الرحيم. دط، دار الكتب العلمية: بيروت، دت.

(٣) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، ص١٩١، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دط، دار المعرفة: بيروت، دت.

(٤) التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، ص٣٦٠، تحقيق: محمد رضوان الداية. ط١، دار الفكر المعاصر، ودار الفكر: بيروت، دمشق، ١٤١٠هـ.

(٥) لطائف الإشارات، القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك، ٣/ ١٥٢، تحقيق: إبراهيم البسيوني، ط٣، الهيئة المصرية للكتاب: القاهرة، دت.

(٦) سنن أبي داود، كتاب الزكاة، باب في صلة الرحم، حديث رقم ١٦٨٩. وحكم عليه الشيخ الألباني بأنه صحيح لغيره في صحيح سنن أبي داود، حديث رقم ١٩٦٤. وقال محققو المسند: صحيح لغيره، مسند أحمد، حديث رقم ١٦٨١، هامش١ ٣/ ٢١٣.

وفي الحديث ما فيه من التنبيه الشديد على أهمية هذه الآصرة، فهي مشتقة من اسم الرحمن جل وعلا، ويَعِدُ اللهُ تعالى من وصلها أن يصله إلى رحمته ومحل كرامته، وأن من قطعها قطعه من رحمته[1].

إن المتأمل فيما أسلفنا يلحظ أن الإسلام يؤسس حواضن تربية الفرد ورعايته على عينه، من أسرة مؤسسة على الإسلام، وعلاقات تُغرس في كيان الفرد منذ نعومة أظفاره، وبيئة قريبة محيطة يسودها الرحمة والمودة والألفة، ثم حاضنة الجوار، وما أدراك ما هذه الحاضنة[2]، ومن ثم العلاقة العامة بين الفرد ومجتمعه، بل والعالم كله[3].

فأنت ترى أن الإسلام يؤمن هذه الدوائر كلها بأن يصنعها أولا على عينه، أو يوجه الفرد المسلم التوجيهات السليمة في التعامل مع هذه الحواضن، حتى ولو كانت غير منهج الإسلام.

فيقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴾[4]، فيوجه الفرد المسلم إلى كيفية التعامل مع هذه الحاضنة التي خرجت عن منهج الإسلام، بالإبقاء على الإحسان مع عدم الاستجابة لما فيها من الشر.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ الله إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ فَقَالَ : لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ، وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ الله ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ"[5].

وعليه فإن فساد هذه الحواضن، وخروجها على منهج الإسلام، ليس مبررا أن يتعامل معها الفرد المسلم بالمثل، بل هو مطالب بأن يُديم رعاية التوجيهات الشرعية، ويكون هو رُقية لإصلاحها وإعادتها إلى منهج الله تعالى.

فانظر إلى هذا الإعجاز التربوي، الذي يبدأ بإنشاء الحواضن السليمة لرعاية الفرد، ثم هو يوجه الفرد إلى أن يكون هو كثمرة لها محافظا على صلاحها، أو إعادتها إن هي شذت عن منهج الله تعالى.

وفي كل هذا سواء المجتمع وصلاحه، وأمنه وأمانه.

---

(١) انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود، العظيم آبادي، محمد شمس الحق ٥/ ١١٣، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان. ط٢، المكتبة السلفية: المدينة المنورة، ١٣٨٨هـ، ١٩٦٨م.

(٢) سيتم تناولها في مبحث الأخلاق والمعاملات.

(٣) سبقت الإشارة إلى رؤية الفرد المسلم لمجتمعه وللكون كله.

(٤) سورة لقمان: ٨.

(٥) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة الرحم وتحريم قطعها، حديث رقم ٢٥٥٨.

المبحث الخامس: الآداب والأخلاق والمعاملات الإسلامية وأثرها في تحقيق الأمن في المجتمع.

المطلب الأول: الأخلاق والآداب الإسلامية:

لسنا بصدد استقصاء أخلاق الإسلام، وإنما نصطفي منها ما هو ألصق وأشد إسهاما في تحقيق الأمن المجتمعي والسلوكي في المجتمع، وكل أخلاق الإسلام يُثمر المسلم السوي الأمين على نفسه ومجتمعه وهذا نموذج للأخلاق الإسلامية من بينها خلق العدل ليس مع المسلم فقط بل مع الغير أيضا وخلق الإحسان خاصة مع الجيران لأن كل مسلم جار فلا يخلو الإنسان غالبا من جار.

خلق العدل:

وقد ضمن الإسلام العدل للغير حتى مع الكره والبغض، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾[1] بل تقيم العدل على نفسك، وعلى أقرب الناس إليك، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ ﴾[2]

فالعدل أساس الأمان المجتمعي والعالمي، وكيف نضمن سلوك من يشعر بالظلم حين يملك بعض الدول حق الاعتراض "الفيتو" ولا يملك البعض الآخر، وكيف يسوغ لبعض الدول أن تمتلك السلاح النووي وتحظره على الباقين، ثم صارت تكتلات اقتصادية ليسود قانون البقاء للأقوى.

وقد جاء في ديباجة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان" الاعتراف بالكرامة المتأصلة في جميع أعضاء الأسرة البشرية وبحقوقهم المتساوية الثابتة هو أساس الحرية والعدل والسلام في العالم"[3] فأين هذا من التطبيق المجتمعي العالمي الواقعي.

ولن يصيب الإنسانية قلّةٌ وفاقةٌ، وخوفٌ وعدمُ أمنٍ إلا بما كسبت أيدي الناس، من توزيع غير عادل للثروات، أو اجتراء من البشر على الإفساد في الأرض، أو اجتياح من الأقوياء لحقوق الفقراء.

وفي الحديث عن علي قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الله فرض على أغنياء المسلمين في أموالهم قدر الذي يسع فقراءهم، ولن يجهد الفقراء إلا إذا جاعوا وعروا مما يصنع أغنياؤهم، ألا وإن الله محاسبهم يوم القيامة حسابا شديدا، ومعذبهم عذابا

---

(١) سورة المائدة، الآية (٨).

(٢) سورة النساء، الآية (١٣٥).

(٣) موقع الأمم المتحدة على الشبكة الدولية.

نكرا"[1].

الإحسان إلى الجار:

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه"[2].

وعن الاستفادة من الجار عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ «لاَ يَمْنَعْ أَحَدُكُمْ جَارَهُ أَنْ يَغْرِزَ خَشَبَةً فِي جِدَارِهِ". قَالَ ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ مَا لِي أَرَاكُمْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ وَاللَّهِ لأَرْمِيَنَّ بِهَا بَيْنَ أَكْتَافِكُمْ[3]".

إن من ينام ملء عينيه ويأكل ملء شدقيه وإلى جواره من تقتله الحاجة والفقر؛ ليس في دين الله مؤمنا كامل الإيمان، وعناصر الإيمان لديه فيها خلل كبير، ومن ثم فليس آدميا كما ينبغي أن يكون الآدمي، ووظيفة الرسالات السماوية أن تعيد الإنسان إلى الصورة النقية الصافية التي جُبل عليها أول مرة (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ)[4].

وإذا فقد الإنسانية ذلك الإحساس بآلام الآخرين وأوجاعهم، والانتفاض لإغاثة الملهوف كانت من أقوى الأسباب الداعية للجريمة.

ولنقرأ ونستمع إلى إرشاد نبوي كريم يقول فيه المعصوم ﷺ (ليس المؤمن الذي يشبع، وجاره جائع إلى جنبه)[5].

---

(١) المعجم الأوسط للطبراني – باب الدال– مَن اسمه دُلَيْل– حديث رقم. قال الحافظ المنذري: قال الحافظ وثابت ثقة صدوق روى عنه البخاري وغيره وبقية رواته لا بأس بهم وروي موقوفا على علي رضي الله عنه وهو أشبه، ١/ ٣٠٦، تحقيق: إبراهيم شمس الدين. الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ.

(٢) صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ)، كتاب الإيمان، باب تحريم إيذاء الجار، ١/ ٤٩، حديث رقم ٨١، طبعة مصورة عن الطبعة التركية المطبوعة في استانبول بتركيا ١٣٣٤هـ، دار الجيل، بيروت، بيروت.

(٣) صحيح مسلم، كتاب البيوع، باب غَرْزِ الْخَشَبِ فِي جِدَارِ الْجَارِ ٥/ ٥٧، حديث رقم ١٦٠٩.

(٤) سورة التين: ٤.

(٥) السنن الكبرى، البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى ١٠/ ٥، حديث رقم ١٩٦٦٨، تحقيق: محمد عبد القادر عطا. ط٣، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م.

شمولية الجوار في الإسلام:

إن من معجزات التشريع التربوي الإسلامي دعوة الإسلام إلى حسن الجوار، وهي ليست قاصرة على ما يسمى في الشرع بالجار في دار المقامة، فعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ كان يقول: "اللهم إني أعوذ بك من جار السوء في دار المقامة، فإن جار البادي يتحول"[1].

بل هي علاقة مطردة لا تنقطع، فإنه لا يخلو الإنسان من جار، وهو في كل ذلك مأمور شرعا بالإحسان إلى جاره، وهي علاقة تبادلية، يبتغي كُلٌّ في كُلٍّ وجه الله تعالى.

وتصور أن تلك العلاقة الكريمة سادت مجتمعا، ثم أفرط في التصور، فتخيل أنها عمت الأرض كلها، كيف تكون علاقة الإنسان بأخيه الإنسان، فالحمد لله على نعمة الإسلام، وكفى بها نعمة.

ولقد بلغ الفكر الإسلامي مبلغا كريما في رعاية هذا الأدب، يقول ابن أبي جمرة في تعقيبه على حديث "ما زال جبريل يوصيني بالجار..." تنبيه: إذا كنت يُؤكد عليكَ في حق جار بيتك، وبينه وبينك جدار، وتُمنع أن يصل إليه منك أذية، وتُؤمر بحفظه وإيصال الخير إليه، فكيف بمراقبة الملكين الحافظين، اللذين ليس بينك وبينهما جدار ولا حائل؟ وأنت تؤذيهما مع مرور الساعات! بدوام التفريط وإيقاع المخالفات؟ انظر بعقلك: هل يصح لك مع ذلك حقيقةُ الإيمان؟ أم كيف حالك يا مسكين؟ لأنه قد جاء أن الحفظة الكرام يُسرُّون بحسنات العبد أكثر مما يُسر العبد بها عند رؤية ثوابها، وأنهما يحزنان ويغتمّان من سيئات العبد ومعصيته أكثر مما يحزن العبد إذا رأى جزاءه عليها، فإساءتك لهما بخطيئتك وأنت لا تستحي ولا تنزجر! فانتبه يا بطال قبل رفع الحجاب، وغلق الباب، إذا كنت نفسك لا تحفظها وجيرانك منك لا يسلمون، فالهرب منك ثم الهرب ثم الهرب"[2].

آداب الاستئذان ودوره في تحقيق الأمن المجتمعي

لسنا بصدد استقصاء آداب الإسلام، وإنما نصطفي منها ما هو ألصق وأشد إسهاما في تحقيق الأمن المجتمعي والسلوكي في المجتمع، وكل آداب الإسلام يُثمر المسلم السوي الأمين على نفسه ومجتمعه.

---

(١) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان، ترتيب علاء الدين علي بن بلبان ٣/ ٣٠٧، حديث رقم ١٠٣٣، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط١، مؤسسة الرسالة: بيروت، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م. وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم ٢٥٥٦، وفي صحيح الجامع برقم ١٢٩٠.

(٢) رسالة المسترشدين، الحارث بن أسد المحاسبي، هامش ١٤٨، ١٤٩، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة. مكتب المطبوعات الإسلامية: حلب، ١٩٦٤م.

آداب الاستئذان العامة لجميع المجتمع:

(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ)[1].

"هذه آداب شرعية أدب الله بها عباده المؤمنين وذلك في استئذان أمرهم أن لا يدخلوا بيوتا غير بيوتهم حتى يستأنسوا أي يستأذنوا قبل الدخول ويسلموا بعده وينبغي أن يستأذن ثلاث مرات فإن أذن له وإلا انصرف"[2].

و"آيات الاستئذان أتقن حاسم لمواد الشر، وتركها أعظم فاتح لأبواب الفتن"[3].

فأخبرونا يا أولي النهى عن هذا الذي تربى على آداب الاستئذان، فلا يدخل بيتا إلا بإذنٍ، ولا يدخل إلا بسلام، ويعود راضيا إن لم يُؤذن له، أتُرى مثل هذا يتلصص النظر إلى الحرام، أو يجترئ على الأعراض والدماء؟!

و"فيه وجوب الاستئذان عند بيت الغير"[4]، "وكان "الرجل من أهل الجاهلية إذا دخل بيت غيره يقول: حييتم صباحاً وحييتم مساء، ثم يدخل، فربما أصاب الرجل مع امرأته في لحاف واحد"[5].

فـ"الاستئذان لم يشرع لئلا يَطَّلِع على عورة، ولا تسبق عينه إلى ما لا يحل النظر إليه فقط، وإنما شُرع لئلا يوقف على الأحوال التي يطويها الناس في العادة عن غيرهم، ويتحفظون من اطلاع أحد عليها، ولأنه تصرف في ملك غيرك فلا بدّ من أن يكون برضاه، وإلا أشبه الغصب والتغلب ... ولا تلحوا في طلب الإذن، ولا تَلِجُّوا في تسهيل الحجاب، ولا تقفوا على الأبواب منتظرين، لأن هذا مما يجلب الكراهة، ويقدح في قلوب الناس، خصوصا إذا كانوا ذوي مروءة، ومرتاضين بالآداب الحسنة، وإذا نُهي عن ذلك لأدائه إلى الكراهة؛ وجب الانتهاء عن كل ما يؤدي إليها: من قرع الباب بعنف، والتصييح بصاحب الدار، وغير ذلك مما يدخل في عادات مَن لم يتهذب من أكثر الناس"[6].

---

(1) سورة النور: ٢٧: ٢٩.

(2) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، إسماعيل بن كثير، ١٠/ ٢٠٤، تحقيق: مصطفى السيد وآخرين. ط١، مؤسسة قرطبة: الجيزة مصر، ١٤١٢هـ ٢٠٠٠م.

(3) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط ١٣/ ٣١٢، دط، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، دت.

(4) الإكليل في استنباط التنزيل، السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر ص١٩٠، تحقيق: سيف الدين الكاتب. دط، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٤٠١هـ ١٩٨١م.

(5) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، عبد الله بن أحمد بن محمود ٣/ ١١٧، تحقيق: مروان الشعار. دط، دار النفائس: بيروت: ٢٠٠٥م.

(6) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، محمود بن عمرو بن أحمد ٣/ ٢٢٨، ط٣، دار الكتاب العربي: بيروت، ١٤٠٧هـ.

يربي الإسلام أفراده على تلك الآداب التي تؤكد على حرية الإنسان في بيته، وحقه أن يأذن أو يمنع بيته مَن يشاء، وحقه ألا يطلع أحد على ما يُحب أو يكره إلا بإذنه، جهرة أو خيفة، وهذه الحقوق تمتد لتشمل المسلمين وغير المسلمين، فالمحارم محارم، لمسلم أو غير مسلم، والحرام حرام، مع المسلم وغير المسلم.

وجاءت التوجيهات النبوية تقرع باللوم والعتاب، بل والتهديد بالعقوبة الزاجرة من تلصص النظر على الآخرين.

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي حُجْرَةٍ وَمَعَهُ مِدْرًى يَحُكُّ بِهِ رَأْسَهُ اطَّلَعَ عَلَيْهِ رَجُلٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: لَوْ أَعْلَمُ أَنَّكَ تَنْظُرُ لَقُمْتُ حَتَّى أَطْعَنَ بِهِ عَيْنَكَ، إِنَّمَا جُعِلَ الْإِذْنُ مِنْ أَجْلِ النَّظَرِ "[1].

فهل ترى أن إنسانا تربى وتمرس بتلك الآداب، وحفظ اليد والنظر واللسان عن خصوصيات الناس؛ هل تُراه يجترئ على محارم الله في أموال الناس ودمائهم؟! اللهم لا.

إنما يجترئ على دماء الناس وأعراضهم مَن فقدوا المعرفة، وحُرموا التربية على هذه الآداب الشرعية، والأخلاق السامية.

آداب الاستئذان في البيوت:

يرتقي الإسلام مرتقى أعظم وأسمى، حينما يوجه الأفراد داخل الأسرة إلى آداب الاستئذان، ذلك التوجيه القدسي الشريف.

يقول الله تعالى: (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)[2].

أي أن "هذه الأوقات الثلاثة التي أمرناكم بأن لا يدخل عليكم فيها من ذكرنا إلا بإذن، ثلاث عورات لكم، لأنكم تضعون فيها ثيابكم، وتخلون بأهليكم"[3].

وذلك صيانة للعورات داخل البيوت، وتأكيد على حق الفرد -بين أقرب الناس إليه- في ألا يجترح أحدٌ خصوصياته، ولو كان أبوه أو أمه أو ولده أو أخوه.

---

(١) سنن الدارمي، الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن، كتاب الديات، باب من اطلع في دار قوم بغير إذنهم، ٢/ ٢٥٩، حديث رقم ٢٣٨٤، تحقيق: فواز زمرلي، خالد العلمي، ط١، دار الكتاب العربي: بيروت، ١٤٠٧هـ.

(٢) سورة النور: ٥٨، ٥٩.

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، محمد بن جرير، ١٩/ ٢١٣، تحقيق: أحمد شاكر. ط١، مؤسسة الرسالة: بيروت، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.

عن ابن عباس فقلت: أستأذن على أختي؟ فقال: نعم، فأعدت فقلت: أختان في حجري، وأنا أمونهما وأنفق عليهما، أستأذن عليهما؟ قال: نعم، أتحب أن تراهما عريانتين؟ ثم قرأ: (يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم إلى ثلاث عورات لكم، قال: فلم يؤمر هؤلاء بالإذن إلا في هذه العورات الثلاث، قال: وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم، قال ابن عباس: فالإذن واجب. زاد ابن جريج: على الناس كلهم"[1].

فأي عظمة تلك، وأي احترام لحقوق الإنسان، وهل بلغ هذا الأفق السامي عادة أو تقليد أو قانون في حياة الناس؟

عدم الترويع ولو مازحا:

عن النبي ﷺ قال: "إذا مر أحدكم في مسجدنا، أو في سوقنا، ومعه نبل، فليمسك على نصالها، أو قال: فليقبض بكفه؛ أن يصيب أحدا من المسلمين منها شيء"[2].

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: "لا يشير أحدكم على أخيه بالسلاح، فإنه لا يدري، لعل الشيطان ينزع في يده، فيقع في حفرة من النار"[3].

وعنه ﷺ أيضا قال: قال أبو القاسم ﷺ: "من أشار إلى أخيه بحديدة، فإن الملائكة تلعنه، حتى يدعه وإن كان أخاه لأبيه وأمه"[4].

ثانيا: المعاملات الإسلامية:

يعاني العالم اليوم من أزمة حادة ترتبط بأمنه واستقراره، ولا أحدَ يماري أن السبب في ذلك يرجع اعتلال القيم المتعلقة بالمعاملات من الاحتكار والربا والسرقة وغيرها.

وفي المقابل يظهر الإسلام بحسه الإنساني فيحرم كل استغلال لحاجة الإنسان من الربا والاحتكار والنجش والغش، وكل ما كان في هذا الباب، وكلها في النهاية تجعل أمان المجتمع المالي متاحا للمسلمين وغير المسلمين، فينتهي المسلمون عن

---

(١) الأدب المفرد، البخاري، محمد بن إسماعيل، ص٣٦٥، حديث رقم ١٠٦٣، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط٣، دار البشائر الإسلامية: بيروت، ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م.

(٢) صحيح البخاري (الجامع المختصر الصحيح) (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م) كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ من حمل...، ٦/ ٢٥٩٢، حديث رقم ٦٦٦٤، تحقيق: مصطفى ديب البغا، طبعة ٣، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، لبنان. وانظر صحيح مسلم، كتاب الآداب، ٨/ ٣٣، حديث رقم ٦٧٥٨.

(٣) صحيح البخاري كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ من حمل...، ٦/ ٢٥٩٢، حديث رقم ٦٦٦١. وانظر صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن الإشارة بالسلاح إلى مسلم ٨/ ٣٤، حديث رقم ٦٧٦١.

(٤) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن الإشارة بالسلاح إلى مسلم ٨/ ٣٣، حديث رقم ٦٧٥٩.

المعاملات الفاسدة التي حرمها الإسلام ليس لعقوبتها الأخروية فقط، ولكن لأنها تمحق البركة أيضا. فنهى عن الكذب في البيع عَنْ أَبِي قَتَادَةَ الأَنْصَارِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ "إِيَّاكُمْ وَكَثْرَةَ الْحَلِفِ فِي الْبَيْعِ فَإِنَّهُ يُنَفِّقُ ثُمَّ يَمْحَقُ"(١).

ونهى الغش فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ عَلَى صُبْرَةِ طَعَامٍ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلاً فَقَالَ "مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ». قَالَ أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ « أَفَلاَ جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَىْ يَرَاهُ النَّاسُ مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّى"(٢).

وقرن وبين الغش وحمل السلاح لأن كلاهما يدمر المجتمع ق يؤدي الغش إلى التباغض وحمل السلاح مما يجعل المجتمع غير آمن لذلك نهى عنهما: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ «مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلاَحَ فَلَيْسَ مِنَّا وَمَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا »(٣).

"وَهَذَا فِي حَقِّ مَنْ لَا يَسْتَحِلُّ ذَلِكَ فَأَمَّا مَنْ يَسْتَحِلُّهُ فَإِنَّهُ يَكْفُرُ بِاسْتِحْلَالِ الْمُحَرَّمِ بِشَرْطِهِ لَا مُجَرَّدَ حَمْلِ السِّلَاحِ وَالْأَوْلَى عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ السَّلَفِ إِطْلَاقُ لَفْظِ الْخَبَرِ مِنْ غَيْرِ تَعَرُّضٍ لِتَأْوِيلِهِ لِيَكُونَ أَبْلَغَ فِي الزَّجْرِ"(٤).

ونهى تلقي الركبان لأن فيها إهداراً لتساوي الفرص في الصفقات كما أن فيها غبناً لصاحب السلعة الذي لم يختبر السوق، فيبيع بسعر أقل.

وكذلك جاء النهي عن النجش والتصرية وغيرها في حديث واحد وأحاديث متفرقة دليل على تكرار النهي منه ﷺ تأكيد على أهمية هذا الشيء.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى عَنِ التَّلَقِّى لِلرُّكْبَانِ وَأَنْ يَبِيعَ حَاضِرٌ لِبَادٍ وَأَنْ تَسْأَلَ الْمَرْأَةُ طَلاَقَ أُخْتِهَا وَعَنِ النَّجْشِ وَالتَّصْرِيَةِ وَأَنْ يَسْتَامَ الرَّجُلُ عَلَى سَوْمِ أَخِيهِ "(٥).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ نَهَى رَسُولُ الله ﷺ: عَنِ التَّلَقِّي، وَأَنْ يَبْتَاعَ الْمُهَاجِرُ لِلأَعْرَابِيِّ، وَأَنْ تَشْتَرِطَ الْمَرْأَةُ طَلاَقَ أُخْتِهَا، وَأَنْ يَسْتَامَ الرَّجُلُ عَلَى سَوْمِ أَخِيهِ وَنَهَى، عَنِ النَّجْشِ وَعَنِ التَّصْرِيَةِ"(٦).

---

(١) صحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب النَّهْيِ عَنِ الْحَلِفِ فِي الْبَيْعِ ٥/ ٥٦، حديث رقم ١٦٠٧.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب: قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ "مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا" ١/ ٦٩، حديث رقم ١٠٢.

(٣) صحيح مسلم، كاب الإيمان، باب قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ "مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا" ١/ ٩٩، حديث رقم ١٠١.

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر، ١٣/ ٢٤.

(٥) صحيح مسلم، كتاب البيوع، باب تَحْرِيمِ بَيْعِ الرَّجُلِ عَلَى بَيْعِ أَخِيهِ وَسَوْمِهِ عَلَى سَوْمِهِ وَتَحْرِيمِ النَّجْشِ وَتَحْرِيمِ التَّصْرِيَةِ. ٣/ ١١٥٥، حديث رقم ١٥١٥.

(٦) صحيح البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الطلاق ٣/ ١٩٢، حديث رقم ٢٧٢٧.

قَوْله: (عَن التلقي)، أَي: تلقي الركّبَان بشرَاء مَتَاعهمْ قبل معرفَة سعر الْبَلَد. قَوْله: (وَأَن يبْتَاع) أَي: يَشْتَرِي (الْمُهَاجر) أَي: الْمُقِيم (للأعرابي) الَّذِي يسكن الْبَادِيَة. وَفِيه بَيَان أَن النَّهْي فِي بيع الْحَاضِر للبادي يتَنَاوَل الشِّرَاء قَوْله: (وَعَن التصرية)، أَي: تصرية ضرع الْحَيَوَان ليخدع الْمُشْتَرِي بِكَثْرَة اللَّبن"[1].

ونهى عن بيع الانسان على بيع أخيه أو خطبته لأن هذا يوغر الصدور ويؤدي إلى العداوة بين الإخوان التي ينتفي معها أمان المجتمع عَنِ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ "لاَ يَبِيعُ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ وَلاَ يَخْطُبُ بَعْضُكُمْ عَلَى خِطْبَةِ بَعْضٍ"[2].

ونهى عن البيع دون العرض على الشريك جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "الشُّفْعَةَ فِي كُلِّ شِرْكٍ فِي أَرْضٍ أَوْ رَبْعٍ أَوْ حَائِطٍ لاَ يَصْلُحُ أَنْ يَبِيعَ حَتَّى يَعْرِضَ عَلَى شَرِيكِهِ فَيَأْخُذَ أَوْ يَدَعَ فَإِنْ أَبَى فَشَرِيكُهُ أَحَقُّ بِهِ حَتَّى يُؤْذِنَهُ"[3].

وكذلك جاء النهي عن الاحتكار: كَانَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ يُحَدِّثُ أَنَّ مَعْمَرًا قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "مَنِ احْتَكَرَ فَهُوَ خَاطِئٌ". فَقِيلَ لِسَعِيدٍ فَإِنَّكَ تَحْتَكِرُ قَالَ سَعِيدٌ إِنَّ مَعْمَرًا الَّذِي كَانَ يُحَدِّثُ هَذَا الْحَدِيثَ كَانَ يَحْتَكِرُ"[4].

وحبس الطعام الوارد في الحديث هو الإمساك الطبيعي للطعام عند كثرته وعدم احتياج الناس له، والنهي في الحديث عن حبس الطعام ليقل في السوق فيزداد سعره فيخرج للبيع فلا يستطيع شراءه كل الناس وهذا من شأنه أن ينشر البغضاء بين أرباب المال والفقراء ربما أدى إلى مالا يحمد عقباه.

"والاحتكار حبس الطعام لانتظار غلائه وربما توهم سامع هذا الحديث أن رواته قد خالفوه وليس كذلك، فإن سعيد بن المسيب كان يحتكر الزيت والمذموم احتكار الطعام في مثل مكة والمدينة لئلا تغلو الأسعار على ساكنيها.

وقد قال عمر بن الخطاب: "لا تحتكروا الطعام بمكة فإن احتكار الطعام بمكة إلحاد بظلم". وأما احتكار ما ليس بضرورة من العيش كالزيت ونحوه لا يكره وأما احتكار الطعام في مثل بغداد وغيرها من البلدان يطرقها الجلب كل وقت فجائز"[5].

ونهى عن أخذ حق الغير ظلما وعدوانا فعَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ «مَنْ أَخَذَ شِبْرًا مِنَ الأَرْضِ ظُلْمًا فَإِنَّهُ يُطَوَّقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ»[6].

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح، العيني، محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى، ١٣/ ٣٠٢، دط، دار إحياء التراث العربي: بيروت، دت.

(٢) صحيح مسلم، كتاب النكاح، باب تَحْرِيمِ الْخِطْبَةِ عَلَى خِطْبَةِ أَخِيهِ حَتَّى يَأْذَنَ أَوْ يَتْرُكَ، حديث رقم ١٤١٢.

(٣) صحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب الشفعة، حديث رقم ١٦٠٨.

(٤) صحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب تَحْرِيمِ الِاحْتِكَارِ فِي الْأَقْوَاتِ، حديث رقم ١٦٠٥.

(٥) كشف المشكل من حديث الصحيحين، ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي ٤/ ١٨٨، تحقيق: علي حسين البواب، دط، دار الوطن: الرياض، دت.

(٦) صحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب تَحْرِيمِ الظُّلْمِ وَغَصْبِ الْأَرْضِ وَغَيْرِهَا، حديث رقم ١٦١٠.

ونلحظ أن كل تلك المعاملات هي من تجلب الشحناء البغضاء بين الناس فنهى عنها رسول الله مما يجعل البيئة الإسلامية آمنة تماما من كل تلك الأدواء مما يجعلها بيئة جاذبة للاستثمار مما يعود بالنفع على المجتمع المسلم ويوفر للمستثمر مناخا أنا لأمواله ولنفسه، ولو كان من غير المسلمين.

وقد جاور النبي ﷺ اليهود في المدينة المنورة، فعاهدهم، وتعامل معهم، وأنصفهم، ومن أروع الشواهد على هذا ما سطّره القرآن الكريم في انصاف غير المسلم على المسلم.

قال الله تعالى "إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا هَاأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا"(١).

فقد نزلت هذه الآيات نُصرة ليهودي اتُّهم كذبا بالسرقة.

قال الإمام الطبري: وكان طعمة بن أبيرق رجلا من الأنصار، ثم أحد بني ظفر، سرق درعا لعمه كانت وديعة عنده، ثم قذفها على يهودي كان يغشاهم، يقال له زيد بن السمين، فجاء اليهودي إلى نبي الله ﷺ يهتف، فلما رأى ذلك قومه بنو ظفر جاؤوا إلى نبي الله ﷺ ليعذروا صاحبهم، وكان نبي الله عليه الصلاة والسلام قد هم بعذره، حتى أنزل الله في شأنه ما أنزل"(٢).

فتوفر الأمن المجتمعي من خلال البيئة الإسلامية جعلها بيئة جاذبة للاستثمار لوجود المناخ الآمن المشجع في المعاملات الإسلامية.

---

(١) سورة النساء: ١٠٥: ١٠٩.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، محمد بن جرير ٧/ ٤٦٢، تحقيق: د. عبد الله التركي. ط١، القاهرة: دار هجر، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.

المبحث الثالث

العقيدة الإسلامية وأثرها في بناء الفرد المسلم:

المطلب الأول: تعريف العقيدة وأهميتها:

الوقوف على المعنى اللغوي والاصطلاحي يفتح الطريق لفهم دلالات المصطلح.

التعريف اللغوي والاصطلاحي للعقيدة:

العقيدة تدور حول العقد، والعقدة، والقرآن سمى العقيدة باسم الإيمان، وعبر عن الشريعة بالعمل الصالح، وإذا عدنا إلى كتب اللغة لنعرف معنى كلمة عقيدة سنجد أن العقيدة مأخوذة من العَقد الذى هو نقيض الحل، واعتقده كعقده تقول العرب:- عقد الحبل، والبيع، والعهد يعقده شده، وعقد السائل عقداً غلظ وجمد بالتبريد، أو التسخين، وعقد الزهر تضامت أجزاؤه، وعقد البيع واليمين، والعهد أكده)[1].

فالعقيدة هى: "الإيمان بحقيقة معينة إيماناً قطعياً لا يقبل الشك أو الجدل"[2].

والعقيدة الإسلامية هي الإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر.

أهمية العقيدة الإسلامية:

العقيدة في الإسلام، هي قوة الدفع الذاتية داخل الفرد المسلم، والتي تحكمه وتضبط سلوكه وتقيمه على الجادة كلما حادت به نفسه الأمارة بالسوء، وهي التي تدفعه للاستزادة من الخير والبر وتحصيل التقوى.

فهي ضرورة للفرد كي تزكو نفسه، ويحسن سلوكه، وهي التي توجه السلوك، فإذا رأينا ضعفا في السلوك عند بعض الناس. فهو دليل على ضعف عقيدتهم، وقد تأملت حياة الصحب الكرام، فوجدت لهم مواقف في غاية الروعة، وتساءلت ما الذي دفعهم لمثل هذه المواقف؟ قلت لا شك أنها العقيدة، وقوة الإيمان.

فما الذي جعل أبا بكر ﷺ يأتي بكل ما عنده من مال في تجهيز جيش العسرة، فقال له رسول الله ﷺ: "يا أبا بكر ما أبقيت لأهلك؟" قال: أبقيت لهم الله ورسوله"[3]، حتى قال ﷺ :" " ...إنه ليس من الناس أحد أمن علي في نفسه وماله من أبي بكر

---

(١) انظر: لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، ٤/ ٣٠٣، دط، دار المعارف: القاهرة، دت. والقاموس المحيط، الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، ١/ ٣١٥، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط٨، مؤسسة الرسالة: بيروت، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.

(٢) المصباح المنير، الفيومي، أحمد بن محمد بن علي ٢/ ٤٢١، دط، المكتبة العلمية: بيروت، دت. والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية (إبراهيم مصطفى، وآخرون، ٢/ ٦١٤، دط، دار الدعوة: استانبول، دت.

(٣) سنن أبي داود، كتاب الزكاة، باب الرخصة في ذلك، حديث رقم ١٦٧٣. وحسنه الشيخ الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي، ٨/ ١٧٥، حديث رقم ٣٦٧٥.

بن أبي قحافة، ولو كنت متخذا من الناس خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا، ولكن خُلة الإسلام أفضل، سدوا عني كل خوخة في هذا المسجد، غير خوخة أبي بكر"[1]، إنها العقيدة.

وهكذا فعل عثمان ﷺ حينما جهز جيشاً جاء في جيش العسرة بألف دينار صبها في حجر النبي ﷺ "قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يُقَلِّبُهَا فِي حِجْرِهِ، وَيَقُولُ: مَا ضَرَّ عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ الْيَوْمِ! مَرَّتَيْنِ"[2].

ورأينا أمثلة كثيرة غيرها، فهذا شاب يترك عروسه ليلة زفافها طلباً للشهادة[3]، وغلمان صغار يتسابقون للموت كما يتسابقون للحياة[4].

وهذه امرأة يوم أحد تُستقبل بموت زوجها وأخيها، فتقول: ما فعل رسول الله؟ قالوا: خيرا يا أم فلان، فقالت: أرونيه حتى أنظر إليه، فلما رأته قال: كل مُصيبة بعدك جلل"[5].

والمذنب تحمله قدماه طواعية إلى ساحة القصاص[6].

إن (الإيمان مدرسة خلقية، وتربية نفسية، تملى على صاحبها الفضائل في صرامة، وإرادة، وقوة نفس، حتى إذا جمحت الثورة البهيمية في حين من الأحيان، أو سقط الإنسان سقطة، وكان حيث لا تراقبه عين، ولا تناله يد القانون، تحول هذا الإيمان نفساً لوامة عنيفة، ووخزاً لاذعاً للضمير، وخيالاً مروعاً، لا يرتاح معه صاحبه حتى يعترف بذنبه أمام القانون، ويعرض نفسه للعقوبة الشديدة، ويتحملها مطمئناً تفادياً لسخط الله، وعقوبة الآخرة، وقد حدثنا المؤرخون الثقات بطرائف لم يحدث نظيرها إلا في التاريخ الإسلامي)[7].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب الخوخة والممر في المسجد، حديث رقم ٤٦٧.

(٢) جامع الترمذي، أبواب المناقب عن رسول الله ﷺ، ١٠/ ١٩٢، ١٩٢، حديث رقم ٣٧٨٥. وحسنه الشيخ الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي، حديث رقم ٣٧٠١.

(٣) الصحابي الجليل حنظلة بن عامر، والحديث في صحيح ابن حبان، كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة رجالهم ونسائهم بذكر أسمائهم، ذكر حنظلة بن عامر غسيل الملائكة ﷺ، حديث رقم ٧٠٢٥. وقال محققه الشيخ شعيب الأرناؤوط: حديث صحيح ١٥/ ٤٩٦. وقال الشيخ الألباني: إسناده جيد انظر: أحكام الجنائز، الألباني، محمد ناصر الدين، ص٥٥، ط٤، المكتب الإسلامي: بيروت، ١٤٠٦، ١٩٨٦م.

(٤) والغلامان: معاذ بن عمرو بن الجموح، ومعاذ بن عفراء. انظر: صحيح البخاري، كتاب فرض الخمس، باب من لم يخمس الأسلاب، حديث رقم ٣٠٢٤.

(٥) دلائل النبوة، البيهقي، أحمد بن الحسين ٣/ ٣٠٢.ط١، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٤٠٥هـ.

(٦) مثل ما حدث من ماعز والغامدية. انظر: صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب هل يقول الإمام للمقر: لعلك لمست أو غمزت، حديث رقم ٦٨٢٤. وانظر أيضا: السنن الكبرى للبيهقي، البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي، كتاب السرقة، جماع أبواب ما لا قطع فيه، باب من قال يسقط كل حق لله تعالى بالتوبة قياسا على آية المحاربة، ١٧/ ٣٧٨، حديث رقم ١٧٣٩٩. تحقيق: عبد الله التركي. ط١، دار هجر: القاهرة، ١٤٣٢هـ ٢٠١١م.

(٧) انظر ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، الندوي، أبو الحسن ص٨٠، دط، دار نهر النيل: القاهرة. دت.

فالعقيدة وحدها هي التي لها القدرة الفذة على تحويل سلوك المرء إلى معجزات. (فما من أحد يتغلغل الإيمان في قلبه، ويتسرب إلى جميع عروقه ومشاعره، وجرى منه مجرى الروح والدم، وغمر العقل والقلب بفيضانه، إلا اقتلع الجاهلية من جذورها، وجعل منه رجلاً غير الرجل، وظهر من روائع الإيمان، واليقين والصبر والشجاعة، ومن خوارق الأفعال، والأخلاق ما حير العقل والفلسفة، وتاريخ الأخلاق، ولا يزال موضع حيرة ودهشة منه إلى الأبد، وعجز العلم عن تعليله بشيء غير الإيمان الكامل العميق)[1].

وإن من مفردات العقيدة الإسلامية أن يتعرف المسلم على ربه جل وعلا، وأنه الخالق الرازق المُحيي المميت المتصرّف في الكون كيف يشاء، وما يقتضيه ذلك من إفراده تعالى بالعبادة وحده، وعدم صرف شيء من العبادة لغيره سبحانه وتعالى، والتعرف على أسمائه الحسنى وصفاته العلا، وما يترتب على ذلك من نفي الخضوع لغير الله تعالى، والتعظيم له جل وعلا، والتعظيم لأمره ونهيه.

المطلب الثاني: قواعد تحقيق الأمن المجتمعي في ضوء العقيدة:

وقاعدة تحقيق الأمن كمقتضى من مقتضيات العقيدة على النحو التالي:

أولا: إعلام الخَلْق أن الكون بما فيه ومَن فيه صنعة الله تعالى، رب العالمين، وكُلّ تَعدّ على هذا الكون، فهو تعدٍّ على خالقه وبارئه في المقام الأول، فيصبح المؤمن بعقيدته أمنٌ وأمانٌ للإنسان والحيوان والنبات والجماد.

إن الرواية الشائعة قولُه ﷺ: "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه"[2].

على الرغم من أن ثمّ رواية أخرى فيها: "المسلم من سلم الناس من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه"[3].

وهذه الرواية توسع دائرة السلامة والأمان، حتى تطال الناس جميعا، حسب ضوابط الشريعة الإسلامية وقواعدها.

فالأصل أن المسلم أمنٌ وأمان، للخلق جميعا، إلا إذا طرأ طارئ – حسب قواعد الشريعة الإسلامية فيدفع عن نفسه، ويرد كيد الظالم إلى نحره.

---

[1] المرجع السابق نفس النقل.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، حديث رقم ١٠.

(٣) مسند أحمد، مسند بني هاشم، مسند عبد الله بن عمرو بن العاص، حديث رقم، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع، حديث رقم ٦٧٠٩. مسند أحمد، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرين. ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م. ١١/ ٦٥٨، حديث رقم ٧٠٨٦. وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

ثانيا: الآية التي تُعد الباب في هذه المسألة قوله تعالى (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ) (١).

وهي تدل على أن من حقق الإيمان تحقق له الأمن والأمان، وبيان ذلك أن العبد إذا امتلأ من الإيمان بربه الخالق الرازق المحيي المميت النافع الضار، الذي بيده ملكوت كل شيء، وله كل شيء، وعنده خزائن كل شيء؛ سقط خوفه من كل شيء إلا من الله تعالى، ووكل أمره كله لله، في رجائه وخوفه، رغبته ورهبته، في رخائه وشدته، وفي شأنه كله، قال تعالى (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ)(٢).

ثالثا: إن آثار التوحيد أنه يجمع شمل النفس فلا تتعدد عليه المخاوف فهو آمن فلا يخاف المرض ولا الموت هذ الطمأنينة تنعكس على المجتمع بطبيعة الحال." إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٧٥)".

رابعا: إن العقيدة أمنٌ نفسي واطمئنان قلبي، ونفيٌ للقلق والهمّ والغمّ والذكر الدائم لله تعالى يشيع في النفس الطمأنينة المنعكسة على المجتمع قال الله تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ)(٣).

إن الإنسانية في أحدث ما توصلت إليه في الدراسات الإنسانية، باتت تُعني أيما عناية بما يسمى بالتنمية البشرية، وهذا الفرع من الدراسات الإنسانية يُعنى أيما عناية بالذات الإنسانية تطويرا وتهذيبا وتشجيعا، لتصنع الإنسان المطمئن، الذي يستطيع مواجهة الأزمات والمصاعب والشدائد، باعتبار هذه الأزمات أشد العقبات عرقلة لمسيرة الإنسان نحو السواء النفسي والتطور المادي، واتجاه الإنسانية اليوم إلى التنمية البشرية يُعد هدما للنظرة المادية التي كانت تُعالج الإنسان كآلة، وتهمل روحه ونفسه. والإيمان الذي دعا إليه الإسلام هو أرقى ما نعرف في مجال التنمية البشرية، وما خطت هذه الدراسات خطوة إلا وجدت الدراسات الإسلامية أعلى منها وأرقى.

خامسا: الإيمان بالقدر يشعر الإنسان بالاستقرار النفسي الذي بدوره ينعكس على المجتمع قال تعالى: (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ)(٤).

فالمسلم يتربى على السلام النفسي(٥) من خلال تلك العقيدة قال تعالى:

---

(١) سورة الأنعام: ٨٢.

(٢) سورة الطلاق: ٣.

(٣) سورة الرعد: ٢٨.

(٤) سورة الحديد: ٢٢، ٢٣.

(٥) السلام النفسي كاصطلاح علمي شائع يُطلق على أحد أفرع علم النفس، والذي يتعامل مع مفردات السلام النفسي وهي: السلام، الصراع، العنف، الحرب، وتتحدد ملامح هذا الاصطلاح من خلال أربعة ركائز مترابطة، وهي: البحث، التربية، الممارسة، الدعوة. انظر:

(كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)[1]، فينظر إلى الأمور كلها على أنها خير من الله، ومن ثم فهو غير ناقم على مجريات الأمور، غير حاسد لأحد، فيمتد سلامه النفسي إلى العالم كله.

ومن آثارها الإيجابي أن الله يعطي بقوانين يستوي من آمن ومن كفر "كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ"(٢)، ومن آثار ذلك في نفس المؤمن أنه لا يحقد ولا يحسد فأمن الناس جانبه

"فإذا حصل له ذلك الإيمان سَكَن إليه، واطمأن به، وزال ذلك الاضطراب والقلق، وانسدت تلك الفاقة، فإن في القلب فاقة لا يسدها شيء سوى الله تعالى ، وفيه شعث لا يُلِمّه غيرُ الإقبال عليه، وفيه مرض لا يشفيه غير الإخلاص له، وعبادته وحده، فهو دائما يضرب على صاحبه حتى يسكن ويطمئن إلى إلهه ومعبوده، فحينئذ يباشر روح الحياة، ويذوق طعمها، ويصير له حياة أخرى غير حياة الغافلين، المعرضين عن هذا الأمر، الذي له خُلق الخلق، ولأجله خُلقت الجنة والنار، وله أرسلت الرسل، ونزلت الكتب، ولو لم يكن جزاء إلا نفس وجوده لكفى به جزاء، وكفى بفوته حسرة وعقوبة"[3].

إنّ أولئك الذين تتلظّى المجتمعات الإسلامية بإرهابهم، لم تطمئن قلوبهم بالإيمان، ولم تتهذب أخلاقهم بالعقيدة السليمة، ولم يتربوا على التذمم لحرمات الله تعالى من مال وعرض ونفس معصومة مُحرّمة، شأنهم في ذلك شأن أسلافهم من الخوارج، الذين مرقُوا من الدين كما يمرُق السهم من الرمية[4]، لم تهذبهم عباداتهم، ولم يُفقهم طول نظرهم في كتاب الله تعالى.

ومفادُ الحديث أنهم على تعمقهم في دين الله تعالى ظاهرا، إلا أنهم لم يتربوا بعقيدته، ولم يتهذبوا بأخلاقه، ولم يتذمموا لحرماته.

سادسا: إن انتفاء روح الانتقام والتشفي من شعائر الإسلام، فالإسلام رحمة وبشرى، وما يزال المسلم حريصا على هداية الناس، وإرادة الخير لهم، والضراعة إلى الله لهدايتهم.

ولما قال ملك الجبال للنبي صلى الله عليه وسلم: "إن شئت أن أُطبق عليهم الأخشبين؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم:

---

https://en.wikipedia.org/wiki/Peace_psychology، بحجم ١٢,٦ كيلوبايت (١٢,٩٤٥ بايت بتاريخ ٠٩ October ٢٠١٦ والباحث يقصد بالسلام النفسي: السلام الداخلي في النفس الناتج عن قلب لا يبيت وفي نفسه شيء لأحد وثمرته حالة الطمأنينة والسكينة التي تفيضها عقائد الإسلام وعباداته ومعاملاته وأخلاقه على الإنسان المسلم، فيصبح وقد حقق السلام مع نفسه، ومنه ينطلق في تعاملاته مع الحياة والأحياء.

(١) سورة البقرة أية رقم (٢١٦).

(٢) سورة الإسراء: ٢٠.

(٣) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ١/ ٧١، تحقيق: محمد حامد الفقي. ط٢، بيروت: دار المعرفة، ١٣٩٥هـ ١٩٧٥م.

(٤) انظر: صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، حديث رقم ٣٦١٠.

بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده، لا يشرك به شيئا"[1].

وذلك بعد أن أقام فيهم عشرة أيام، لا يدع أحدا من أشرافهم إلا جاءه وكلّمه، فقالوا: اخرج من بلادنا، وأغروا به سفهاءهم، فلما أراد الخروج تبعه سفهاؤهم وعبيدهم، يسبونه ويصيحون به، حتى اجتمع عليه الناس، فوقفوا له سماطين (أي صفين) وجعلوا يرمونه بالحجارة وبكلمات من السفه، ورجموا عراقيبه، حتى اختضب نعلاه بالدماء، وكان زيد بن حارثة يقيه بنفسه، حتى أصابه شجاج في رأسه، ولم يزل به السفهاء كذلك حتى ألجأوه إلى حائط لعتبة وشيبة ابني ربيعة، على ثلاثة أميال من الطائف، فلما التجأ إليه رجعوا"[2].

فلم يدعُه سوءُ صنيعهم أن يدعو عليهم، أو أن يعرضهم للأذى وقد أقدره الله عليه!

إن درء الأذى عن الناس، وكفّ السوء عنهم، والحدب عليهم، ورجاء الخير لهم، والاحتراق رغبة في الهداية لهم، وشفقة عليهم من العذاب، هو دأب المسلم وخُلُقه.

ولعل قصة أسامة بن زيد رضي الله عنه وأرضاه من أوضح الدلائل على تذرع الإسلام بكل سبيل لحقن دماء الناس، وتحقيق الأمن لهم.

فعن جندب بن عبد البجلي رضي الله عنه قال:، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بعثا من المسلمين إلى قوم من المشركين، وإنهم التقوا فكان رجل من المشركين إذا شاء أن يقصد إلى رجل من المسلمين قصد له فقتله، وإن رجلا من المسلمين قصد غفلته، قال: وكنا نحدث أنه أسامة بن زيد، فلما رفع عليه السيف قال: لا إله إلا الله فقتله، فجاء البشير إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله فأخبره، حتى أخبره خبر الرجل كيف صنع، فدعاه فسأله فقال: لم قتلته؟ قال: يا رسول الله، أوجع في المسلمين، وقتل فلانا وفلانا، وسمى له نفرا، وإني حملت عليه، فلما رأى السيف قال: لا إله إلا الله، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أقتلته؟ قال: نعم، قال: فكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة؟ قال: يا رسول الله، استغفر لي، قال: وكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة؟ قال: فجعل لا يزيده على أن يقول: كيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة"[3].

وهذا الحديث الشريف أصل في المعنى الذي نحن بصدد بيانه، وهو تربية الإسلام على التنزه عن روح التشفي والانتقام، ودرء إراقة الدماء، والتذمم لحرمات الإنسانية بكل سبيل.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم: آمين والملائكة في السماء، حديث رقم٣٢٣١. والأخشبان: جبل أبي قبيس وقعيقعان بمكة.

(٢) الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري ص٧٣، ط١، دمشق: دار العصماء، ١٤٢٧هـ.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله، حديث رقم ٩٧.

سابعا: إن رؤية المؤمن لغيره أنه صنعة الله وأن الاعتداء عليهم اعتداء على الله فهو سلم للحياة وللأحياء وقد قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع: "ألا أخبركم بالمؤمن، من أمنه الناس على أموالهم، وأنفسهم، والمسلم من سلم الناس من لسانه، ويده"(١).

ومن آثارها رفع الحصانة الإلهية للإنسان وجميع الفرق المنحرفة تبرر لنفسها الاعتداء على الانسان بأن أول ما تفعله هو رفع الحصانة عن الإنسان بتكفيره، وحمى الله عباده من شرور عباده بإقرار حرية الاعتقاد.

ثامنا: ومن آثارها تقدير نظرية التعايش السلمي بين الناس.

فقد تختلف العقيدة لكن هذا لا يمنع من البر بالآخر قال الله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾(٢).

فالمسلم بطبيعته يتربى على كره القتل والدماء، ويسعى بكل الطرق لتجنب القتال، حيث الجزاء الغليظ جدا لمن قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض، فمجموع الفرد في الإسلام يساوي مجموع البشرية جمعاء، لذا لم يأتِ الإذن بالقتال إلا بعد أن بُدئ المسلمون به، من اعتداء واقع أو متوقع بيقين حينها لابد من الدفاع عن النفس ف"ينبغي للحاكم أن يبدأ عدوه باللين والمسالمة والبذل وطلب المواصلة والسكون، فإن لم يفعل، أو كان في الحال ما يقتضي خلاف ذلك، رجع معه إلى الفعل، ولا يصل معه إلى الحرب حتى تعوزه الحيل كلها" (٣). قال الله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾(٤).

والدستور الإلهي نص على هذا، قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾(٥).

إن الأصل في علاقة المسلمين بغير المسلمين هي السلم والموادعة والأمان، ولكن، جاء الإسلام بالحق والعدل وتخليص

---

(١) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان، كتاب السير، باب الهجرة، ذكر البيان بأن كل هجرة ليس فيها التحول من دار الكفر، ١١/ ٢٠٣، حديث رقم ٤٨٦٢، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

(٢) سورة الممتحنة: ٨.

(٣) كتاب السياسة أو الإشارة في تدبير الإمارة (طبعة يليه فيها كتابان آخران)، المرادي الحضرمي، محمد بن الحسن، ص٦١، تحقيق: محمد حسن إسماعيل، أحمد المزيدي. ط١، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣.

(٤) سورة الحج: ٣٩، ٤٠.

(٥) سورة البقرة: ١٩٠.

الناس من الظلم وأهله، ودعوتهم إلى دين الله تعالى وإقامة الحجة عليهم بذلك.

وكل قوة وقفت أمام هذه الدعوة أو حجبته عن جموع الناس فإن الجهاد في سبيل الله تعالى شُرع لإزالة هذه العوائق في أي شكل كانت، وإذا تمكنت الدولة الإسلامية من تبليغ الدين لله تعالى إلى الناس، فإن علاقتها بغيرها من القوى السياسية القائمة هي علاقة التحالفات والمعاهدات إن كانت قوى تحكم بالعدل والقسطاس المستقيم، وإن كانت تلك القوى بحاجة إلى حماية؛ فإن الدولة الإسلامية تحميها في مقابل جُعل مالي هو الجزية.

بيد أن البعض ظن أن أصل العلاقة بين المسلمين وغيرهم الحرب والقتال، وهنا يوضح الشيخ محمد أبو زهرة –رحمه الله– سبب هذه النظرية فيقول: (وفي هذا الوقت، والنيران مشتعلة، كان الاجتهاد الفقي، ونبتت فكرة الأصل في علاقة المسلمين بغيرهم، أهي الحرب أم هي السلم؟ ففكر الفقهاء في ذلك، ومنهم من قال: إن الأصل في العلاقة هي الحرب، وأخذوا قولهم من الواقع لا من أصل النصوص، وليس أولئك هم الأكثرين، ومنهم من لم يأخذ الحكم من الواقع، بل أخذه من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية المحمدية، واعتبر العلاقة هي السلم حتى تكون دواعي الحرب، وتكاد كلمات الفقهاء أجمعين تجمع على أن دار المخالفين تسمى دار حرب، لأنها فعلا كانت في عصر الاجتهاد الفقهي دار حرب، بسبب تلك الاعتداءات المتكررة من الأعداء والمدافعة المستمرة من المسلمين)[1].

ففي الحديث عبد الله بن عمرو، سمعت رسول الله ﷺ يقول: "المسلم من سلم الناس من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه"[2].

فيربى المسلم على تعظيم حرمات الدماء والأموال والأعراض، لمسلم كانت أو لغير مسلم، إلا أن تُستحل لسبب شرعي معتبر، وليس لذريعة كاذبة خاطئة.

وعندما أمر الإسلام بإعداد القوة، ورباط الخيل لم يكن ذلك في المقام الأول من أجل الحرب، وإنما من أجل السلام، فإذا علم الأعداء بالقوة والاستعداد للجهاد أعادوا النظر الف مرة قبل الإقدام على الحرب مع المسلمين "فالحرب التي يعلنها الإسلام هي لتأمين السلام العالمي، والتي يعبر عنها القرآن بالجهاد"[3] وذلك لردع من تسول له نفسه بالاعتداء، فلا يكون هناك قتال وإذا كانت الحرب ضرورة في بعض الأحيان لمواجهة الواقع، فلا ريب أن بعض النفوس لها مطامع وأهواء، فكان لا بد من تكافؤ القوى كضمانة لحفظ المصالح والتعايش السلمي.

---

(١) العلاقات الدولية في الاسلام، محمد ابو زهرة، ص٥٤، ٥٥، ط١، دار الفكر العربي: القاهرة، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.

(٢) مسند أحمد، ١١/ ٦٥٨، حديث رقم ٧٠٨٦ وقال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين. تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومن معه. ط١، مؤسسة الرسالة: بيروت، ١٤٢١هـ ٢٠٠١م.

(٣) نظام الحرب والسلم في الإسلام، مصطفى السباعي، ص٥٠، دط، مكتبة الوراق: القاهرة، دت.

فالضرورة المبيحة للقتال هل هي اعتداء الكفار؟ أم فساد عقيدتهم؟ هذا موضوع هام ينبغي أن يحرر، وقد ألف شيخ الإسلام ابن تيمية رسالة صغيرة وخلص إلى أن قتال الكفار هو للاعتداء فقال: (فصل في قتال الكفار هل هو سببه المقاتلة، أم مجرد الكفر، وفي ذلك قولان مشهوران للعلماء: الأول: قول الجمهور، كمالك وأحمد بن حنبل وأبي حنيفة وغيرهم. الثاني: قول الشافعي، وربما علل به بعض أصحاب أحمد... وقول الجمهور هو الذي يدل عليه الكتاب والسنة والاعتبار"[1].

وعن رباح بن ربيع ﷺ قال: كنا مع رسول الله ﷺ في غزوة فرأى الناس مجتمعين على شيء فبعث رجلا، فقال: "انظر علام اجتمع هؤلاء؟ "فجاء فقال: على امرأة قتيل. فقال: "ما كانت هذه لتقاتل" قال: وعلى المقدمة خالد بن الوليد فبعث رجلا. فقال: "قل لخالد لا يقتلن امرأة ولا عسيفا"[2].

وقال أيضا رحمه الله-:"الكفار إنما يُقاتلون بشرط الحراب؛ كما ذهب إليه جمهور العلماء، وكما دل عليه الكتاب والسنة" [3].

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: "قَالُوا وَلِأَنَّ الْقَتْلَ إنَّمَا وَجَبَ فِي مُقَابَلَةِ الْحِرَابِ لَا فِي مُقَابَلَةِ الْكُفْرِ وَلِذَلِكَ لَا يُقْتَلُ النِّسَاءُ وَلَا الصِّبْيَانُ وَلَا الزَّمْنَى وَالْعُمْيَانُ وَلَا الرُّهْبَانُ الَّذِينَ لَا يُقَاتِلُونَ بَلْ نُقَاتِلُ مَنْ حَارَبَنَا"[4].

فالجمهور على ألا يُقتَل إلاَّ مَن كان من أهل القتال، أو مِن المعاونين لهم على القتال. فقالت المالكية:" وَأَمَّا النِّسَاءُ فَإِنْ كَفَفْنَ أَذَاهُنَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَلَزِمْنَ قَعْرَ بُيُوتِهِنَّ فَلَا خِلَافَ فِي تَحْرِيمِ قَتْلِهِنَّ، وَإِنْ شَعَرْنَ فِي مَدْحِ الْقِتَالِ وَذَمِّ الْفِرَارِ، فَإِنْ قَاتَلْنَ وَبَاشَرْنَ السِّلَاحَ فَلَا خِلَافَ فِي جَوَازِ قَتْلِهِنَّ فِي حِينِ الْقِتَالِ فِي الْمُسَايَفَةِ لِوُجُودِ الْمَعْنَى الْمُبِيحِ لِقَتْلِهِنَّ ثم قال: وَالصَّبِيُّ وَالْمُرَاهِقُ كَالنِّسَاءِ فِي جَمِيعِ مَا ذَكَرَ، وَاخْتُلِفَ فِيهِ إذَا أَنْبَتَ وَلَمْ يَحْتَلِمْ فَالْمَذْهَبُ عَلَى قَوْلَيْنِ، وَأَمَّا الشَّيْخُ الْفَانِي الَّذِي لَا يُخْشَى مِنْهُ نِكَايَةٌ وَلَا يُتَّقَى مِنْ وَرَائِهِ غَائِلَةٌ ذَمِيمَةٌ فَلَا إشْكَالَ أَنَّهُ لَا يُقْتَلُ"[5] .

---

(١) قاعدة مختصرة في قتال الكفار ومهادنتهم وتحريم قتلهم لمجرد كفرهم، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم ص٨٧ وما بعدها، تحقيق: د. عبد العزيز الزير آل حمد. ط١، بدون دار نشر، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م.

(٢) سنن أبي داود، أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق، كتاب الجهاد، باب في قتل النساء، ٤/ ٣٠٣، حديث رقم ٢٦٦٩. وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح. تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد بللي. ط١، دار الرسالة العالمية: بيروت، ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م. وقال الشيخ الألباني: حسن صحيح. انظر: صحيح وضعيف سنن الترمذي، حديث رقم ٢٦٦٩.

(٣) النبوات، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ١/ ٥٧٠، تحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان، ط١، أضواء السلف: الرياض، ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م.

(٤) أحكام أهل الذمة، ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب، ١/ ١١٠، تحقيق: يوسف بن أحمد البكري، شاكر بن توفيق العاروري، ط١، رمادي للنشر: الدمام ١٤١٨ هـ ١٩٩٧.

(٥) مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، الرعيني، محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي، ٣/ ٣٥٠، ط٣، دار الفكر: بيروت، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.

وقالت الحنفية: " وَلَا يَقْتُلُوا امْرَأَةً وَلَا صَبِيًّا وَلَا شَيْخًا فَانِيًا وَلَا مُقْعَدًا وَلَا أَعْمَى، لِأَنَّ الْمُبِيحَ لِلْقَتْلِ عِنْدَنَا هُوَ الْحِرَابُ وَلَا يَتَحَقَّقُ مِنْهُمْ "[1].

وقالت الحنابلة: "وَمَنْ قَاتَلَ مِنْ هَؤُلَاءِ أَوْ النِّسَاءِ أَوْ الْمَشَايِخِ أَوْ الرُّهْبَانِ فِي الْمَعْرَكَةِ قُتِلَ لَا نَعْلَمُ فِيهِ خِلَافًا وَبِهَذَا قَالَ الْأَوْزَاعِيُّ وَالثَّوْرِيُّ وَاللَّيْثُ وَالشَّافِعِيُّ وَأَبُو ثَوْرٍ وَأَصْحَابُ الرَّأْيِ، ..... "وَلِأَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - وَقَفَ عَلَى امْرَأَةٍ مَقْتُولَةٍ، فَقَالَ: مَا بَالُهَا قُتِلَتْ، وَهِيَ لَا تُقَاتِلُ".

وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ إنَّمَا نَهَى عَنْ قَتْلِ الْمَرْأَةِ إذَا لَمْ تُقَاتِلْ، وَلِأَنَّ هَؤُلَاءِ إنَّمَا لَمْ يُقْتَلُوا لِأَنَّهُمْ فِي الْعَادَةِ لَا يُقَاتِلُونَ"[2].

ويفهم من أقوال الأئمة السابقة أن القتال لمن قاتل -أيا كان- والعكس صحيح فمن هادن واتبع طريق السلام فنحن نسبقه في ذلك الطريق ونقابله سلما بسلم وأدلة ذلك آيات القتال المقيدة لآيات القتال المطلقة ومنها قوله تعالى: (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ)[3].

ولم يأذن الله في قتال المشركين الا حينما آذوا المسلمين واعتدوا عليهم قال تعالى: أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ"[4].

تاسعا: من آثارها اعتقاد المسلم أن الرزق من عند الله وأن الأمن الغذائي مجاديحه تقوى الله فالخزائن عنده ومفتاحها عند الإنسان "ولو ان اهل القرى" وهذا محفز للخوف من الله فيمنع الإنسان من السرقة أو الاعتداء على الغير فيشيع الأمن المجتمعي.

عاشرا: كما أن الإسلام وضع ضوابط لفهم النص كأمن فكري حتي لا يتطرف الفكر فيتطرف السلوك ومن هذه الضوابط:

جمع النصوص في الموضـــوع الواحد:

وقد قضى الله سبحانه وتعالى أن يكون في كتابه المحكم والمتشابه، والناسخ والمنسوخ، والمطلق والمقيد، والعام والخاص، والمنفي والمثبت، ونظم القرآن اقتضى ألا يكون الموضوع الواحد في سورة واحدة، وإنما في سور متفرقات، فينبغي أن يجمع بعضها إلى بعض حتى يتبين الحكم الصحيح.

---

(١) العناية شرح الهداية، البابرتي، محمد بن محمد بن محمود، دط، دار الفكر: بيروت، دت.

(٢) المغني، ابن قدامة، عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي، ١٣/ ١٨٠، تحقيق: عبد الله التركي، وعبد الفتاح الحلو. ط٣، عالم الكتب: الرياض، ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.

(٣) سورة البقرة: ١٩٠.

(٤) سورة الحج: ٣٩.

عـــدم القول بالنسـخ إلا بدليـــل:

إذ لا يملك أحد أن يدعي النسخ من عند نفسه، بلا بد أن يرجع في ذلك إلى نص صريح صحيح.

عـــدم التأويـــل إلا ببرهـــان:

فلا يخرج باللفظ عن ظاهره إلا بقرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي ويؤيدها السياق السباق واللحاق وغير مخالف لباقي النصوص.

قال البغوي والكواشي: "التأويل صرف الآية إلى معنى موافق لما قبلها وما بعدها تحتمله الآية غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط "[1]

عـــدم اتباع المتشابهات وترك المحكمـــات:

المتشابه في اللغة: (في التنزيل مشتبها وغير متشابه، وشبهه إياه وشبهه به: مثله، والمشتبهات من الأمور المشكلات والمتشابهات المتماثلات)[2].

والمعنى أن المتشابه من الكلام ما شابه غيره فالتبس على العقل.

والمتشابه من النصوص ما أشكل تفسيره، ولا ينبئ ظاهره عن مراده ويستبين إذا ضم إلى غيره من النصوص في ذات الموضوع .

قال صاحب البصائر: (والمتشابه من القرآن ما أشكل تفسيره لمشابهته غيره من حيث اللفظ أو من حيث المعنى.

وقيل: ما "يختصّ بمعرفة حقيقته بعض الرّاسخين في العلم، ويخفى على [مَن] دونهم، وهو المشار إليه بقوله ﷺ: "اللهمّ فقّهه في الدّين وعلّمه التَّأويل"[3].

وأما المحكم فأصله لغة: المنع، تقول: أحكمت: بمعنى رددت ومنعت والحاكم لمنعه الظالم من الظلم وحَكمة اللجام: هي التي تمنع الفرس من الاضطراب.

وأما في الاصطلاح فهو ما أحكمته بالأمر والنهي وبيان الحلال والحرام"[4].

---

(١) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، ٤/ ١٩٤، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. ط١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م.

(٢) لسان العرب، ابن منظور، ٤/ ٢١٨٩.

(٣) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيرزآبادي، محمد بن يعقوب ٣/ ٢٩٦، تحقيق: محمد علي النجار. ط١، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية: القاهرة، ١٣٩٣: ١٤١٦هـ ١٩٧٣: ١٩٩٦م.

(٤) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر ٢/ ٦٨، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار إحياء الكتب

عـــدم الاعتقـــاد ثم الاستـدلال:

من أسباب الخطأ في الفهم أن يعتقد الإنسان فكرة مسبقة ثم يلتمس لها الدليل، فإذا اصطدمت معه النصوص القرآنية أولها، وإذا اصطدمت معه السنة النبوية ربما أنكرها.

(فهناك قوم اعتقدوا معاني ثم أرادوا حمل ألفاظ القرآن عليها مثل طوائف أهل البدع الذين اعتقدوا مذاهب باطلة وعمدوا إلى القرآن فتأولوه على رأيهم وليس لهم سلف من الصحابة والتابعين)[1] .

ومعظم الفرق الذين وقعوا في الخطأ في الفهم اعتقدوا أشياء أولاً ثم أنزلوا عليها النصوص ولما لم يجدوا أولوا، أو أنكروا أو أضافوا مثل المعتزلة الذين اعتقدوا عدم رؤية الله تعالى ولما اصطدمت معهم النصوص أولوها.

قال أبو الحسن الأشعري:" أجمعت المعتزلة على أن الله سبحانه لا يُرى بالأبصار واختلفت: هل يرى بالقلوب، فقال أبو الهذيل: وأكثر المعتزلة قالوا: نرى الله بقلوبنا بمعنى نعلمه بقلوبنا"[2].

قال الزمخشري في تفسير قوله تعالى: إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ[3]، "فاختصاصه بنظرهم إليه لو كان منظوراً إليه محال، فوجب حمله على معنى يصح معه الاختصاص، والذي يصح معه أن يكون من قول الناس: أنا إلى فلان ناظر ما يصنع بي، تريد معنى التوقع والرجاء " [4] .

وبذلك أول الآية لأنها اصطدمت مع ما يعتقد مسبقاً من عدم رؤية الله تعالى .

وكذلك الشيعة الذين اعتقدوا ولاية علي ولما لما يجدوا من النصوص ما يؤيدهم تأولوا النصوص وأنزلوها على ما قروه مسبقاً من الولاية.

مسألة ظاهـــر النص ومقصـود النـــص:

من المسائل التي تثير الخلاف مسألة ظاهر النص ومقصود النص، فقد لا يرى الإنسان من النص إلا الألفاظ والمباني دون الغوص إلى المقاصد والمعاني "وما مثل من وقف مع الظواهر والألفاظ ولم يراع المقاصد والمعاني إلا كمثل رجل قيل له:

العربية: القاهرة، ١٣٧٦هـ، ١٩٥٧م.

(١) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، ٤/ ٢٠٦.

(٢) مقالات الإسلاميين، الأشعري، علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم١/ ١٣١، تحقيق: نعيم زرزور. ط١، المكتبة العصرية: بيروت، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.

(٣) سورة القيامة: ٢٣.

(٤) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، ٤/ ٦٦٢.

لا تُسلّم على صاحب بدعة، فقبّل يده ورجله، ولم يُسلم عليه. أو قيل له اذهب فاملأ هذه الجرة؛ فذهب فملأها ثم تركها على الحوض، وقال لم تقل إيتني بها، وكمن قال لوكيله بع هذه السلعة فباعها بدرهم، وهي تساوي مائة"[1].

فلا تطلب الحق من الألفاظ في بعض الأحيان، فمن طلب الحق من الألفاظ هلك كمن يقول أنه لا ربا إلا في النقدين، ولا زكاة إلا فيما يقتات ويدخر، أو من يغير اسم الخمر ليستحلها (ومعلوم أن التحريم تابع للحقيقة لا للاسم والصورة فإيقاع العداوة والبغضاء والصد عن ذكر الله في الخمر لا تزول والصورة وهل هذا إلا من سوء الفهم عن الله ورسوله)[2].

فالنظر إلى ظواهر النصوص دون مراعاة للمعني المقصود يجعل النص جسداً لا روح فيه، فالمعنى بالنسبة للنص كالروح بالنسبة للجسد.

يقول العلامة الشاطبي: (وكلام العرب على الإطلاق لابد فيه من اعتبار معنى المساق في دلالة الصيغ، وإلا صار ضحكة وهزأة، ألا ترى إلى قولهم فلان أسد، أو حمار، أو عظيم الرماد، أو جبان الكلب، وفلانة بعيدة مَهْوَى القُرط[3] وما لا ينحصر من الأمثلة، لو اعتبر اللفظ بمجرده لم يكن له معنى معقول فما ظنك بكلام الله ورسوله) [4].

ثم قال: "ومعلوم أن اتباع ظواهر القرآن والسنة على غير تدبر ولا نظر في مقاصده ومعاقده والقطع بالحكم به ببادئ الرأي والنظر الأول هو الذي نبه عليه قوله في الحديث: "يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم"[5]، ومعلوم أن هذا الرأي يصد عن اتباع الحق المحض، ويضاد المشي على الصراط المستقيم"[6].

ثم قال: " فاتباع أنفس الصيغ التي هي الأصل واجب لأنها مع المعاني كالأصل مع الفرع، ولا يصح اتباع الفرع مع إلغاء الأصل" [7].

فالأمور بمقاصدها شريطة ألا يخالف المقاصد الكلية للدين، ويحتمل النص هذا المقصد لقرينة شرعية أو عقلية.

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد ٣/ ٩٤، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم. ط١، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٤١١هـ ١٩٩١م.

(٢) المرجع السابق ٣/ ٩٥.

(٣) كناية عن طول الرقبة.

(٤) الموافقات، الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي ٣/ ٤٢٠، تحقيق: مشهور آل سلمان، ط١، دار ابن عفان: القاهرة ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.

(٥) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله عز وجل : وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر، ٤/ ١٣٧، حديث رقم: ٣٣٤٤.

(٦) الموافقات، الشاطبي، ٥/ ١٤٩.

(٧) المرجع السابق ٣/ ٤١٢.

ولكن يجب أن نلاحظ أن ترك ظاهر النص بالكلية غير مقصود من كلامنا، فالتوسط في الأمر مطلوب "فالعمل بالظواهر على تتبع وتغالٍ بعيد عن مقصود الشارع، كما أن إهماله إسراف أيضاً"[1].

(1) المرجع السابق ٣/ ٤٢١.

المبحث الرابع: أركان الإسلام وأثرها في بناء المسلم السويّ:

إن المتأمل في الحكم من تشريع العبادات في الإسلام يقف على أن تحصيل الخلق الكريم الحسن هو إحدى ثمراتها، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق"[1].

وتحصيل العبد للخلق الحسن من سماحة ورفق ولين وصدق وأمانة وكرم وسخاء وإخلاص، كلها مع الذكر -الذي هو روح الصلاة- يُحدثان الطمأنينة والأمان والأمن النفسي عند الإنسان، والذي ينسحب بدوره أمنا وأمانا وسلاما على المجتمع كله، فالمجتمع الذاكر مجتمع آمن في نفسه أمان لغيره، ولا نتصور تربية كهذه تنتج مجرما أو مستبدا أو متسلطا أو معتديا على الناس في حرماتهم.

وفيما يلي تطوافة حول أركان الإسلام وأثرها في تحقيق الأمن المجتمعي.

المطلب الأول: صلاة الجماعة وأثرها في تحقيق الأمن المجتمعي:

الصلاة صلة بين العبد وربه، وإن أداء العبد لها منفردا؛ يُفوّت حكمة عظيمة من الحكم المقصودة للشرع في تشريع الصلاة، فإن خروج العبد لها خمس مرات يوميا يؤديها -غالبا- مع أهله وجيرانه وأهل محلته، فيه من إشاعة الألفة، وروح المشاركة في الخير، وقيمة التواصل بين الناس، والاطلاع على أحوالهم صحة ومرضا، فرحا وحزنا، وما يتبع ذلك من المشاركة في الأفراح والمواساة في الأتراح، في ذلك ما فيه من ضخ دماء المحبة والأخوة والألفة والتواصل، كما فيه بيان لقيمة الجماعة في الإسلام، ويتبع ذلك أن خروج الفرد على هذه الجماعة، وتشتيت ودها، وتفريق جمعها من المحاذير التي يرفضها الإسلام تصريحا وتضمينا.

قال الله تعالى: (ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ)[2].

وأي حكمة تحقق الأمن المجتمعي والسلوكي أعظم من كف الإنسان عن الفحشاء والمنكر؟

فالصلاة الحقيقية هي التي تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر، فإن كان وإلا فصورة الصلاة لا حقيقتها"[3].

---

(١) مسند أحمد، حديث رقم ٨٩٥٢، وقال محققو المسند: إسناده صحيح. ١٤/ ٥١٢، حديث رقم ٨٩٥١.

(٢) سورة العنكبوت: ٤٥.

(٣) انظر: لطائف الإشارات، القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك ٣/ ٩٩.

وقد وصفت الأحاديث الخوارج، مستحلي دماء الناس وأموالهم، بأنهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية[1]، فأنت إذا نظرت إلى السهم طرفه ومتنه؛ فلن تجد أثرا للصيد في السهم، على الرغم من اختراقه للصيد وخروجه منه، والمعنى أنهم يمارسون شعائر الإسلام، وينغمسون فيها، ولا يؤثر ذلك فيهم شيئا.

وحدة الوجهة سبيل الألفة:

ومن الأمور المستقرة في علوم النفس أن اتحاد الهدف والوجهة يجمع النفوس، ويؤلف القلوب، ويزيل التخالف، وتجدده واستمرار يعني تجدد عوامل الألفة وعوامل إزالة الوحشة بين الناس، ويصنع توائم روحية بين من تأتلف قلوبهم من الناس، تظهر في صورة التواصل والتفقد والمشاركة، فتشيع الألفة بين الناس، وتُقتل عوامل الشحناء والبغضاء.

هذا وإن المستقرئ لصفحات التكفيريين والجماعات الإرهابية يقف على أن من العلامات الدائمة للمنتمين لهذه التجمعات الانعزال والبعد عن الناس فترة من الزمن قبل وقوعهم الفعلي في براثن هذه الكيانات الآثمة، بزعم سكوتهم عن المنكر[2].

ومن هنا يتضح بجلاء حكمة الإسلام من إخراج الناس من بيوتهم خمس مرات في اليوم والليلة ليصفوا أقدامهم ويقبلوا بأبدانهم وقلوبهم على الله تعالى.

المطلب الثاني: الزكاة والصدقات وأثرهما في تحقيق الأمن المجتمعي:

من أهم المعايير التي تقيس إيمان العبد، وصحته الدينية، وسلامة تصوراته ورؤاه لنفسه وللمجتمع وللعالم شعيرة الزكاة، وصدق الله العظيم: (تج تح تخ تم ته ثم جح جم)[3].

وهي تمثل الامتثال لأوامر الله تعالى بإخراج الحق الواجب من ماله للفقراء والمساكين، والمشاركة الإيجابية في رعاية الفقراء والمساكين، والإحساس بآلام المجتمع والعمل على إزالتها أو تخفيفها.

وإشعار الفقير وذوي الحاجات أن أصحاب الجدة والمال ليسوا بغافلين عنهم، وأنهم يشركونهم أموالهم، ويقفون معهم في ملماتهم، وفي ذلك بث لروح الأخوة والمودة في المجتمع، وإزالة لأسباب الحسد والغل والبغضاء التي تتولد من انطواء الأغنياء بنعمة الله عليهم دون الفقراء والمساكين، وكم حفظ التاريخ لنا ما يُسمّى بثورات الجياع، التي تهلك الحرث والنسل، وتشيع الفساد في الأرض.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله عز وجل: وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر، ٤/ ١٣٧، حديث رقم: ٣٣٤٤.

(٢) في الرابط التالي مشاهد لأشخاص ابتُلوا بالانضمام للكيانات التكفيرية، وحديثهم عن كيفية عزل الشباب عن الدولة والعلم والعلماء: **https://www.youtube.com/watch?v=Acv-ZBgReuc**

(٣) سورة التغابن: ١٦.

ونعيد هنا الحديث الموقف على أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب :ﷺ"إن الله فرض على أغنياء المسلمين في أموالهم قدر الذي يسع فقراءهم، ولن يجهد الفقراء إلا إذا جاعوا وعروا مما يصنع أغنياؤهم، ألا وإن الله محاسبهم يوم القيامة حسابا شديدا، ومعذبهم عذابا نكرا"(١).

والزكاة تعني النماء والزيادة، على الرغم من أن صورة الفعل تعني الأخذ والنقصان! ولكن النصوص الشرعية تتواتر في بيان أن الإنفاق خير وبركة وزيادة.

قال تعالى: (قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ)(٢).

وفي الصحيح عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ، إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا"(٣).

والشرع الحنيف إنما يؤكد على قيمة الإعطاء في الإسلام بصورتيه الواجبة والتطوعية ليشيع الألفة بين المجتمع، بزرع الرحمة والاهتمام والمواساة في نفس المعطي، والرضا وسلامة الصدر وحب المجتمع في نفس الآخذ، وفي كل هذا أمن وأمان للمجتمع، وقضاء على أسباب الجريمة.

تكافل المجتمع المسلم رافدٌ من روافد الأمن:

إن سنة الله في خلقه تفاضل الناس في الأرزاق، قال تعالى: (وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ)(٤)، وذلك ليتراحم الناس؛ فيعطي الغني الفقير ويواسي الواجد المحروم، لكن أن يكون هذا التفاوت لعنة على الفقير فهذا من أفحش المعاصي التي يُعصى الله تعالى بها.

إن فقدان الإنسانية للدين الحق – وتعلتها بالأديان الباطلة والمحرفة– أفقدها معاني المواساة والرحمة وروح التعاون والإحساس بآلام المحرومين، بل إنها وبكل قسوة تتخذ من هذه الآلام ذريعة لإجبارهم على ما لا يريدون.

---

(١) المعجم الأوسط للطبراني – باب الدال– مَن اسمه دُلَيْل– حديث رقم. قال الحافظ المنذري: قال الحافظ وثابت ثقة صدوق روى عنه البخاري وغيره وبقية رواته لا بأس بهم وروي موقوفا على علي رضي الله عنه وهو أشبه، ١/ ٣٠٦، تحقيق: إبراهيم شمس الدين. الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ.

(٢) سورة سبأ: ٣٩.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى فأما من أعطى واتقى، حديث رقم ١٤٤٢. وانظر: صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب في المنفق والممسك، حديث رقم ١٠١٠.

(٤) سورة النحل الآية : ٧١ .

إن في القرآن الكريم آيات تعتبر دستوراً في الرحمة، ومنهجا لم ولن تعرف الإنسانية له نظيرا، يقول تعالى: (فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ*وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ*فَكُّ رَقَبَةٍ*أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ*يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ*أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ) (١).

والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فهذه الآيات خطاب لكل مسلم في كل زمان ومكان.

والاقتحام: الرمي بالنفس في شيء من غير روية ... والقحم صعاب الطريق، والمعنى: هلا تَحَمَّل عظام الأمور في إنفاق ماله في طاعة ربه والإيمان به ... وقيل شبه عظم الذنوب وثقلها وشدتها بالعقبة، ثم فسر اقتحام العقبة بفعل وجوه من القرب المالية، والمعنى: هلا أنفق ماله في فك الرقاب وإطعام السغبان ليجاوز العقبة) (٢).

إن اقتحام العقبات في الإسلام وأفضل القربات لإرضاء الله سبحانه وتعالى؛ عتق الرقابة أو فكاك الأسرى وإطعام الجائعين من ذوي القربة وغيرهم في أوقات المجاعات والعوز، ولا فرق بين مسلم وغير مسلم في هذا المجال، فكل بنى آدم مكرمون بمقتضى نص القرآن الكريم (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً)(٣).

كما أن ما يتولد عن الجوع والفقر من قنوط وغضب هما مرتع خصب يغذي العنف والجريمة)(٤).

وصدق المصطفى ﷺ "اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع وأعوذ بك من الخيانة فإنها بئست البطانة)(٥).

وروي موقوفا عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ: "إن الله فرض على أغنياء المسلمين في أموالهم قدر الذي يسع فقراءهم، ولن يجهد الفقراء إلا إذا جاعوا وعروا مما يصنع أغنياؤهم، ألا وإن الله محاسبهم يوم القيامة حسابا شديدا، ومعذبهم عذابا نكرا"(٦).

---

(١) سورة البلد الآيات : ١١:١٦ .

(٢) ينظر تفسير الإمام القرطبى – جـ١ صـ٧١٥٥ ، ٧١٥٦ بتصرف – طبعة دار الشعب.

(٣) سورة الإسراء الآية : ٧٠ .

(٤) www.fao.org/docrep/meeting/٠٠٦/Y٩٣٢٠a.htm لجنة الأمن الغذائى العالمى الدورة التاسعة والعشرون روما من ١٢ إلى ١٦ مايو – أيار ٢٠٠٣م .

(٥) سنن ابن ماجه كتاب الأطعمة، باب التعوذ من الجوع، حديث رقم ٣٣٥٤ جـ٢ صـ١١١٣ مرجع سابق، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح سنن ابن ماجه جـ٢ صـ٢٣٨ حديث ٢٧٠٧ والحديث مروى عن أبى هريرة ﷺ.

(٦) المعجم الأوسط، الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب، ٤/ ٤٨، حديث رقم ٣٥٧٩، تحقيق: طارق عوض الله، عبد المحسن الحسيني، دط، دار الحرمين: القاهرة، دت. وقال الشيخ الألباني: وروي موقوفا على عليٍّ وهو أشبه. انظر ضعيف الترغيب والترهيب ١/ ٢٣٨، ط١، ط١، مكتبة المعارف: الرياض، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

إن أصحاب النبي ﷺ أعطونا المثل الأعلى في التعامل مع النكبات، وكيف يتواسى المسلمون فيما بينهم لتحقيق إتاحة الغذاء ولتحقيق الكفاية.

عن أبي موسى ﷺ قال قال النبي ﷺ: إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو أو قل طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية فهم مني وأنا منهم)[1].

وفي القرآن الكريم (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلا الْهَدْيَ وَلا الْقَلائِدَ وَلا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَاناً وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)[2].

نعم إن المسلمين لحمة واحدة، ليس من المعقول أن يتألم بعضها دون أن يشعر بها البعض الآخر، وهذا التناقض لا يستقيم في جسد سليم، بل – فقط – يكون معقولاً في جسد مشلول.

إن العبادات تصنع التواصل الخلاق مع المجتمع فتعمل عملية دمج للفرد في المجتمع بعيدا عن الاغتراب المجتمعي فتشكله تشكيلا إسلاميا معتدلا ذو صحة نفسية مستقيمة وتسمح بالعلاج المبكر لأي تطرف يلحظ عليه.

وهي تدريب عملي على السلام والأمان، وهذا من خلال ممارسة أركانه الأربع بعد الشهادتين من ترديد السلام عشر مرات في الصلوات المفروضة كل يوم، وإشاعة التراحم عن طريق إعطاء الزكاة، وعدم الإساءة حتى للمعتدي خاصة وقت الصيام، وفي الحج يحرم على المحرم قص أظافره، أو حلق شعره، أو قطع نبات، أو قتل حيوان، أو تهييج طير، ناهيك عن أي شيء يخرج عن أدب السلم العام وكلها أمور تضبط الاتزان الانفعالي عند المسلم فيعتادها.

هذا المناخ الصحي، والبرمجة العصبية على حب السلام لا تكاد تجعل المرء يرفع يده بالاعتداء على أحد، فالسلام المجتمعي يلف الجميع في صورة نادرة تثمر الأخوة والمحبة والتعاون، والذي يحول الدنيا إلى حضارة فائقة في ظل هذا التناغم العجيب.

المطلب الثالث: الصوم وأثره في تحقيق الأمن المجتمعي:

إن اعتياد النعمة وإلفها قد ينسي الإنسان قيمتها، والإسلام دين الله تعالى وشريعته التامة الكاملة والخاتمة، لم يترك ثلمة إلا سدّها، وأمّن المجتمع شرورها.

---

(١) صحيح البخاري جـ٢ صـ٨٨٠ حديث ٢٣٥٤ كتاب الشركة باب الشركة في الطعام.

والذكر به تطمئن القلب والقلب المطمئن ينعكس على المجتمع قال تعالى: "الا بذكر الله تطمئن القلوب" والعبادات تزيد الايمان وحين يزيد الإيمان تمسك الجوارح عن المعصية فالإيمان أمان للمجتمع.

(٢) سورة المائدة الآية: ٢ .

فكان تشريع الصيام شهرا في العام قُربة لله تعالى، وابتغاء للتقوى، وصحة للأبدان، ومشاركة للفقراء والمعوزين آلام الحاجة ولوعة الجوع.

إن المسلم يُصلي ويزكي ويصوم لأن الله تعالى أمر، ولكن في طيات تلك الشرائع حكمٌ اجتماعية واقتصادية وصحية وغير ذلك من الحكم التي نعلمها والتي لا نعلمها.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ لِلهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ"[1].

فالصائم حقا هو الذي يأمن المجتمع من قوله الزور والعمل به، أما أن يجوع ويعطش، ثم يُلظي المجتمع نيران فكره السيء وعمله الخبيث، فهذا لا حاجة لله تعالى في أن يدع طعامه وشرابه، إن من يقول الزور ويفعله، وهو يجوع ويعطش -بزعم الصيام قربة لله تعالى- لديه خلل فكري، وفساد في فهم حكمة الله تعالى من شريعة الصوم.

والنظر البديهي يشير إلى أن امتناع الإنسان شرعا عما هو مباح له في غير رمضان مظنة أن ينهاه عما حرم الله تعالى من باب أولى.

هذا وإن خلو المعدة من الطعام يسمح للروح أن تُحلق إلى سمائها وسموها، ومن ثمّ يرقى سلوك الإنسان، ويبغض المعاصي التي تتسفل به من هذا السمو، بل ويتقلل من المباحات.

وليس بخاف على من يصوم لله حقا هذا الحالة من سمو النفس وطمأنينة القلب حال الصيام.

فالصيام أمن للمجتمع من شرور الفرد، بل أمن للفرد من شرور الفرد الآخر.

وفي الصحيح أيضا عن أبي هريرة ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: قَالَ اللهُ: كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ"[2].

فأي توجيه تربوي أعظم من هذا، وأي تزكية أعلى وأسمى، حيث يصبح المرء حال الصوم الحقيقي جُنةً لنفسه ولغيره، لا يرفث ولا يصخب، ولا يُجاري مَن يرفث ويصخب، فأي أمن مجتمعي أعظم وأجل من هذا؟ الحمد لله على نعمة الإسلام وكفى بها نعمة.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب من لم يدع قول الزور والعمل به في الصوم، حديث رقم ١٩٠٣.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب هل يقول إني صائم إذا شتم، حديث رقم ١٩٠٤.

المطلب الرابع: الحج وأثره في تحقيق الأمن المجتمعي:

يقول الله تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[1].

فكثرة الزحام، واختلاف الألوان والمشارب والطبائع، مظنة حدوث التخالف والتنافر، فتأتي التوجيهات الشرعية بالنهي عن الرفث والفسوق والجدال.

"والرفث مباشرة النساء بالجماع ومقدماته، والكلام بذلك... والفسوق شامل لجميع أنواع الخروج عن طاعة الله تعالى... والجدال هو المخاصمة والمراء"[2]؛ لأنها أبواب شر لا محالة، وهذا موطن شريف، لا ينبغي أن يتخالف فيه المسلمون ويتنافروا.

فانظر كيف يؤسس الإسلام للأمن المجتمعي، وكيف يُحصّن المسلم تجاه ما يُتوقع من حدوث الخلاف والتنافر، وكيف يبث في روعه أن الله يعلم ما يفعلون، ومطلع على النيات والأفعال، وينبه على أن تقوى الله تعالى خير زاد يتزوده العبد لدنياه وأخراه، وأن أُولي العقول السليمة أحرصُ الناس على تحقيقها والتحقق منها قولا وعملا.

وتتمثل التربية على تحقيق الأمن المجتمعي والسلوكي، في تدريب المسلم على ضبط النفس، وحفظ اللسان والفرّج، في أشد المواقف حرجا، وحيث لا يعرفه أحدٌ، ففي الحج تكون بين أمواج من البشر، وضبط الإنسان نفسه حيث لا يراه أحد، ولا يطلع عليه إلا الله؛ إنما هو من علامات الإيمان، وصدق الإخلاص والتوجه إلى الله تعالى.

إن حظر الإسلام على الحاج أن يصطاد وأن يقطع الشجر أو يهيج الطير، ما هو إلا تدريب عملي على ما ينبغي للمسلم أن يكون عليه من كف يده ولسانه عن أذى الناس، بل ولا نبعد النجعة إن قلنا أن يكف قلبه وعقله عن خواطر السوء.

---

(١) سورة البقرة: ١٩٧.

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار ٥/ ١٣، ١٤، دط، دار الفكر: بيروت، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.

المبحث السابع: معدلات الجريمة بين المجتمعات الإسلامية والمجتمعات الأخرى:

المطلب الأول: الأمن النفسي في التشريعات الإسلامية:

ونعني به ما يسمى سلام النفس واجتماعها، وبُعدها عن الشتات والضيعة، وسلامتها من التشرذم، وأصدق قيلا من ذلك كله ما جاء التعبير عنه في الحديث الشريف.

فعن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "مَن كانت الدنيا همه وسدمه[1] ولها يشخص، ولها ينصب ويطلب، جعل الله فقره بين عينيه، وشتت عليه ضيعته، ولم يأته منها إلا ما كتب له، ومن كانت الآخرة همه وسدمه، ولها يشخص، ولها ينصب ويطلب، جعل الله غناه في قلبه، وجمع له الضيعة، وأتته الدنيا وهي صاغرة"[2].

غنى القلب واجتماع القلب، ووضح الهدف والغاية، هي ما نعنيه بالسلام النفسي، الذي يشفي من الشتات والضيعة وتقلب الأفئدة والأبصار، ويصنع الفرد المسلم السالم من الآفات، الصالح للإسهام الفعال في بناء المجتمع، وما سنتناوله في هذه المسألة يهدف إلى تحقيق هذا السلام النفسي.

فبينما يصطرع العالم بتيارات وفلسفات تتسابق في مضمار الفوز بتبني الإنسان، ما بين تيارات تُسرف في منح الإنسان الحرية التامة في أن يفعل ما يريد دون قيد من دين أو عادة، كالوجودية، وأخرى تضع القوانين للحياة العامة، وتترك الإنسان وحيدا يخلق لنفسه قوانين التصور العقلي لنفسه ولغيره، وعليه يصنع هو قوانين التعامل مع نفسه وعقله، بل وربه، وهي العلمانية، وتيارات أخرى تعُده آلة عارية عن المشاعر والأحاسيس، وتحكمه في تصوراته وسلوكياته بقوانين تجافي الفطرة وتقتل نوازعه الإنسانية، وهي الشيوعية وما تولد عنها.

هذه التيارات وغيرها جربت الإنسان، وكلما رُفع لها لواء هلل لها واتبع سبيلها، حتى يصطدم مذؤوما مدحورا بانكشاف فسادها، وعدم جدواها.

وتيارات أخرى رأت صلاح الإنسان في انقطاعه عن الحياة الدنيا، وزهده في ملذاتها؛ لأنها أصل كل شر، كما هو الحال في غالب أديان الهند الصين، الهندوسية والبوذية والطاوية والجينية والكونفوشيوسية وغيرها.

وهنا يقف الإسلام، دين الله، الذي يقدم التصور الشامل السليم للكون وللحياة وللأحياء.

---

(١) السدم: اللهج والولوع بالشيء. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، المبارك بن محمد بن محمد الشيباني ٢/ ٣٥٥. تحقيق: طاهر الزاوي، محمود الطناحي. دط، المكتبة العلمية: بيروت، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م. والمراد أنها غاية ما يسعى إليه.

(٢) المعجم الأوسط، الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب ٦/ ١٢٣، حديث رقم ٥٩٩٠. تحقيق: طارق عوض الله، عبد المحسن الحسيني. دط، دار الحرمين: القاهرة، دت.

إن الله تعالى من فضله ورحمته بعباده أقر أعينهم بمتع حسية كثيرة في هذه الحياة الدنيا، ولم يجعل بأسا في إحساس الإنسان برغبته في هذه المتع، ولا بأس أيضا في سعيه للاستمتاع بها.

(زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ)[1].

و(المزين هو اللَّهَ سبحانه وتعالى للابتلاء، كقوله: (إِنَّا جَعَلْنا ما عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَها لِنَبْلُوَهُمْ)[2]، [3].

وذلك التزيين أمر في أصل فطرة الإنسان، ولا يقدر عليه إلا الله تعالى، وليس للشيطان من ذلك التزيين نصيب إلا أن يزين "من حبها ما قبُح)[4]، فليس في الإسلام بأس من الإحساس بمتع الحياة الدنيا والرغبة في نوالها.

وقال تعالى: (يَابَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ)[5].

وإنما البأس في رجاء الحرام والسعي إليه، ولو أن الرجاء توقف عند حدود الفكر ولم يبرحه إلى الكلام أو الفعل؛ فإنه معفو عنه في الإسلام، قال ﷺ : "إن الله تجاوز لأمتي عما وسوست، أو حدثت به أنفسها، ما لم تعمل به أو تكلم"[6].

هذا التقرير الإلهي بفطرية الإحساس بالشهوة والرغبة فيها، يُزيل عن كاهل الإنسان أعباء ثقالا، حملته إياها تلك النظريات الفاسدة، التي رأت متاع الدنيا إثما وخطيئة، ينبغي أن يتنزه عنه الإنسان!

وكما هو شأن القرآن في خلق التوازن، يلفت انتباه الإنسان إلى ما هو أبقى وأهنأ لنفسه وامرأ، قال تعالى: (قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ)[7].

---

(١) سورة آل عمران: ١٤.

(٢) سورة الكهف:

(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، محمود بن عمرو بن أحمد ١/ ٣٤٢. ط٣، دار الكتاب العربي: بيروت، ١٤٠٧هـ.

(٤) النكت والعيون، الماوردي، علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري ١/ ٣٧٥، تحقيق: السيد عبد المقصود عبد الرحيم. دط، دار الكتب العلمية: بيروت، دت.

(٥) سورة الأعراف ٣١: ٣٣.

(٦) صحيح البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب إذا حنث ناسيا في الأيمان، حديث رقم ٦٦٦٤.

(٧) سورة آل عمران: ١٥.

هذا الرشاد في التشريع، والاتزان في التصور هو ما يصنع السلام النفسي، ويحقق الأمن داخل الإنسان، ويشفيه من لوثات الجاهلية بكل صورها، صور الإسراف اللاهث خلف مُتع الحياة، وصور التقتير الخانق لفطرة الإنسان.

وتمتد شمولية التشريع الإسلام، الذي يحقق السلام والأمن النفسي للإنسان، فلا تترك الإنسان وحيدا في مواجهة العقبات التي قد تحجزه عن الاستمتاع بطيبات الحياة الدنيا، من الفقر وضعف الحال.

ذلك أن مُتَع الحياة الدنيا مسؤولية، مسؤوليةٌ في تحصيلها من الحلال، وهو متاح لا حرج فيه، وإذا عزّ الحلال فثمّ توجيهات شرعية إلى البديل.

فعن عَبْدِ الله بن مسعود ﷺ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: مَنِ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ"[1].

إن الإسلام دين يدلف مع الإنسان في أعمق خصوصياته، ويوجهه في أعقد العقبات التي تواجهه، لا يتركه نهبا لهواجس نفسه، ووساوس الشيطان الذي يلازمه ويتقصده بالسوء وإفساد النفس والسلوك، كيف ورب العالمين أرحم بعباده من الأم بولدها، كيف يترك الإنسان فريسة لنفسه الأمارة بالسوء، أو لقرينه من شياطين الجن، بل وشياطين الإنس.

فنجد التشريعات الإسلامية شاملة توجه الإنسان في كل صغيرة وكبيرة، ليتعرف على المخاطر التي تتهدده، ليكون على بينه بها، وحذر منها، واستعداد للتعامل معها.

وإنني لأرى في أمر الخالق سبحانه وتعالى عباده بالاستعاذة من الشيطان الرجيم، أعظم مظاهر الرحمة والحنان على الخلق، إذ يوجه الله تعالى عباده إلى أن يطلبوا منه الحماية واللجوء من الشيطان الرجيم، الذي يضيق بوساوسه الصدر، ويُكدّر الخاطر، ويُغري بالإثم والرذيلة، فتأتي رحمة الرحمن الرحيم لتقطع الطريق على هذا الشتات النفسي، وتجمع قلب الإنسان وخالقه على ربه الرحمن الرحيم.

وفي القرآن الكريم أكثر من خمسين آية كلها تحذر من الشيطان وخطواته ومصائده ومصائبه التي يقصد بها بني آدم؛ ليكون الإنسان على بينة تامة بعدوه وخططه وشِراكِهِ. فالحمد لله على نعمة ألوهيتك وربوبيتك وأسمائك وصفاتك يا رب العالمين.

المطلب الثاني: البيئة الإسلامية طاردة للإرهاب:

البيئة الإسلامية ليست صالحة لنمو الإرهاب نظرا للمنهج الإسلامي القيم من تقوى الله وتعظيم حرمة الدم وتشريع الأحكام الوقائية كالقصاص، والحدود الشرعية وتكريم الإنسان ومد جسور التواصل الاجتماعي مع الآخرين للتعارف التكامل واكتساب الخبرات المختلفة من خلال الاجتماعية اليومية في الصلوات وتكوين النفسية السوية من خلال الأخلاق والآداب والبيئة التنافسية المُحفزة على العمل الصالح كل ذلك يقتل الجراثيم في مهدها.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب الصوم لمن خاف على نفسه العزوبة، حديث رقم ١٩٠٥.

لكن البيئة المحفزة للجريمة المناسبة لها هي البيئة الغربية من خلال الفكر الوضعي الذي صاغ العقلية الغربية.

فما أعظم الفرق بين رجلين: يعيش أحدهما وهو يعتقد في نفسه أنه مجرد "حيوان" ليس له قبل حياته جذور، وليس له بعد موته امتداد، والآخر يعتقد أنه خليفة الله في الأرض ونائبه في عمارة الحياة وأن وجوده لا ينتهي بالموت بل تمتد به حياة الخلود.

(وأهم ما يميز الإسلام أنه يأخذ الكائن البشري كله على ما هو عليه فلا يحاول أن ينتزله في ناحية المادية، ولا أن يرفعه فوق طينته كما تفعل النظم المثالية بل هو في نظر الإسلام لا هو بالملاك، ولا بالحيوان ولإسلام يحب التوازن ويكره فقدانه ولو لأعلى)[1].

وفرق بين نظرة الإسلام للإنسان وبين نظر أصحاب الأديان الأخرى، والواقع الشاخص بين أيدينا اليوم يشهد لذلك. فقد أسس بعض المفكرين الغربيين للسلوك القائم في الغرب، وبذروا أفكاره الخاطئة في عقول الناس ـ من كون الإنسان مادة لا يشتمل على الروح ـ

وصحته النفسية في إطلاق غرائزه، ولا مكان للأخلاق التي تدعو للعفة، فنظروا للطبيعة الإنسانية نظرة مادية تقترب من نظرها للحيوان بل نعته البعض بالحيوان الناطق، فأنتج هذا التصور شعوباً فنيت فناء مطلقا في عالم المادة، وأهملوا الجانب الروحي، فمسخت الطبيعة الإنسانية، واختفت المشاعر والعواطف، وأصبح الأفراد مجرد آلة جامدة مفرغة من العواطف.

وتاه البعض الآخر من المفكرين الغربيين عن كنه الطبيعة الإنسانية مما جعل أحدهم يكتب كتابا بعنوان "الإنسان ذلك المجهول" والبعض الآخر تحسس الحقيقة وكتب كتابا بعنوان: الإنسان بين المظهر والجوهر "، يرى فيه العودة للعصر الوسيط من ناحية التدين، ويرى أن نظريات فرويد أخطر على المجتمع الغربي من القنبلة النووية.

فيقول ألكسيس كاريل[2]: (فقد أحدث فرويد أضرارا أكثر من التي أحدثها أكثر علماء الميكانيكا تطرفاً)[3].

وتلونت الطبيعة الإنسانية المادية بلون كل مفكر حسب ثقافته وبيئته، فألقى بظلاله في هذا المجال (فإنسان نيتشه[4] هو

---

(١) انظر: الإنسان بين المادية والإسلام، ص٧٣-٧٨ مرجع سابق.

(٢) كاريل، ألكسيس:١٩٤٤-١٨٧٣ م. جراح وعالم أحياء فرنسي أثبت أن الأنسجة يمكن أن تعيش بعيدة عن أعضائها إذا غُذيت بطريقة صحيحة. فاز كاريل بجائزة نوبل في الطب لعام ١٩١٢م تقديرًا لجهوده في جراحة الأوعية الدموية وفي زراعة الأعضاء والأنسجة... ومن بين مؤلفاته الإنسان ذلك المجهول١٩٣٥ م. الموسوعة العربية العالمية، ١٩/ ٥٠، ط٢، مؤسسة أعمال الموسوعة: الرياض، ١٤١٩هـ ١٩٩٩م.

(٣) الإنسان ذلك المجهول، ألكسيس كاريل، ص١٤٠، بدون بيانات.

(٤) نيتشه، فريدريك (١٨٤٤-١٩٠٠م). فيلسوف ألماني وشاعر، وعالم كلاسيكي، تأثر به كثير من الفلاسفة والكتّاب وعلماء النفس في القرن العشرين تأثرًا شديدًا ... وفي عام ١٨٨٩م تعرض نيتشه لانهيار عقلي لم يُشف منه أبدًا وقد حاول نيتشه إعادة تقييم كل القيم في كتبه مثل، وراء الخير والشر (١٨٨٦ م)؛ أصل الأخلاق ١٨٨٧ م. فقال إن المحاربين الذين سيطروا على المجتمع في البداية قد عرَّفوا قوتهم وطبقتهم النبيلة بأنها شيء طيب، وأن ضعف العامة هو شيء رديء. وفيما بعد عندما بدأ رجال الدين والعامة يسيطرون على المجتمع، نظروا في ضعفهم وتواضعهم

إنسان كامل اسماً، لكن في جوهره حيوان خاضع تماماً لقوانين التطور الطبيعية. وهو لا يحمل أية أعباء أخلاقية، فهو يتصرف بشكل آلي حسب طبيعته؛ وطبيعته لا خير فيها ولا شر ولا قلق ولا أسئلة كبرىٰ، وإنسان آدم سميث[1] تحركه الدوافع الاقتصادية والرغبة في تحقيق الربح والثروة، وإنسان ماركس[2] محكوم بمبدأ المنفعة، ولا يعرف سوىٰ صالحه الاقتصادي، إنسان لا ينتمي إلىٰ حضارة بعينها وإنما ينتمي إلىٰ عالم الاقتصاد العام، وهو لا يعرف الخصوصية ولا الكرامة ولا الأهداف السامية التي تتجاوز الحركة الاقتصادية، وهو يجيد نشاطاً واحداً هو البيع والشراء، وإنسان فرويد تحركه دوافعه الجنسية وغدده وجهازه العصبي. وهو يعبِّر عن مبدأ اللذة ولا يعرف سوىٰ متعته ولذته؛ إنسان الاستهلاك والترف والتبذير؛ وهو إنسان أحادي البُعد خاضع للحتميات الغريزية متجرد من القيمة لا يتجاوز قوانين الحركة)[3]

وأصبحت الطبيعة الإنسانية للغربي طبيعة مادية لا يتحرك إلا من أجل المادة وليس من أجل القيم النبيلة يقول إريك فروم في كتابه الإنسان بين الجوهر والمظهر:(إن قادة مجتمعنا يتصورون استحالة تحريك الناس إلا بإغرائهم بالامتيازات والمنح المادية، وأنهم لن يستجيبوا لدعوات التكافل والتضحية، ومن ثم لا توجه لهم مثل هذه الدعوات إلا في أوقات الحروب)[4]

ويرىٰ أن هذه المادية تهدد كوكبنا بالدمار ويرىٰ البديل في سمو القيم الإنسانية والروح علىٰ المادة وتوصل إلىٰ ما يشبه الحل الإسلامي في الجمع ين المادة والروح فيقول:(فإن توليفا جديدا سيكون البديل الوحيد من الفوضى والخلط الشاملين التوليف بين الجوهر الروحاني للعصر الوسيط المتأخر وتطور العلم والتفكير العقلاني منذ عصر النهضة وهذه التوليفة هي مدينة الكينونة) [5] ويقصد مدينة الوجود الإنساني الذي يبحث عنه في ظل المادية التي تاه الناس بين أفكارها.

وعدوه شيئًا طيبًا وأن قسوة المحاربين التي كانوا يرهبونها عدّوها شيطانًا. وقد انتقد نيتشه هذه المجموعة الثانية من القيم، لأنها مبنية علىٰ الخوف والكراهية، ونسب هذه القيم إلىٰ التقاليد اليهودية والنصرانية. وقد تكرر انتقاده للنصرانية". الموسوعة العربية العالمية ٢٥/ ٦٠٤.

(١) سميث، آدم ١٧٩٠-١٧٢٣ م. فيلسوف وعالم اقتصاد أسكتلندي ومؤسس علم الاقتصاد الحديث. وكتاب سميث الرئيسي هو :ثروة الأمم، وعنوان الكتاب بالكامل :بحث في طبيعة ثروة الأمم وأسبابها، نشر عام ١٧٧٦م، وهو أول عمل كامل عن الاقتصاد السياسي، يناقش فيه العلاقة بين الحرية والنظام، ويحلل العمليات الاقتصادية، ويهاجم قيود نظام النزعة التجارية البريطاني المفروضة علىٰ التجارة الحرة ... يعتبر. سميث هو أب الاقتصاد الحديث، كما لا يزال يعتبر من أكثر المفكرين الاقتصاديين تأثيراً في اقتصاديات اليوم، الموسوعة العربية العالمية، ١٣/ ١٢٣.

(٢) ماركس، كارل١٨٨٣-١٨١٨ م. فيلسوفٌ ألماني واجتماعي وثوري كان المؤسس الرئيسي لحركتين جماهيريَّتين قويتين هما: الاشتراكية الديمقراطية والشيوعية الثورية. وقد كان ماركس يُقابَل أحيانًا بالتجاهل أو سوء الفهم حتىٰ من قبَل أنصاره أنفسهم ... كان يعاني الكآبة والفتور وعدم القدرة علىٰ العمل لفترات طويلة... وكان ماركس يعتقد بأن نظام الاقتصاد الحر أو الرأسمالية إلىٰ زوال، وأن الاشتراكية هي البديل الوحيد"، الموسوعة العربية العالمية، ٢٢/ ٦٣.

(٣) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، دكتور/ عبد الوهاب المسيري، ١/ ٧٦، ط١، دار الشروق: القاهرة، ١٩٩٩م.

(٤) الإنسان بين الجوهر والمظهر، إريك فروم، ص٩، ترجمة: سعد زهران، دط، عالم المعرفة: القاهرة، دت.

(٥) الإنسان بين الجوهر والمظهر ص١٩٥ مرجع سابق.

وتحدث فروم عن النتائج التي توصل لها بعض العلماء الغربيين والتي تتلخص في أنه "لكي يتجنب عالم الغرب دماراً مادياً محققاً بناء على تقديرات اقتصادية خالصة ـ يجب تغيير القيم الأخلاقية الراهنة، وأن يقوم نظام جديد وموقف جديد من الطبيعة الإنسانية يتضمن تكاملاً إنسانياً شاملاً)[1].

فالإنسان الغربي ليس أمنا في نفسه فهو آلة تتحرك نحو تدمير نفسها غيرها ويحتاج إلى جهد كبير لتغيير عقيدته المادية.

وإذا كان فرويد رأى أن الطبيعة البشرية لا تقبل التهذيب، وأن تهذيبها في ترك غرائزها حرة، فإن (الغرب قد وصل من تهذيب بعض الطباع درجة مثالية فبائع الصحف الذي يترك صحفه في إنجلترا وعليها كومة من النقود فيأتي الزبائن فيأخذ كل واحد منهم صحيفته ويضع ثمنها دون أن يفكر في أخذ هذه النقود المتروكة بلا حراسة... وبنفس المنطق يمكن أن يطبق هذا في ميدان الغرائز وإنما وجه الغرب عنايته إلى هذا اللون من التهذيب النفعي ونجح فيه لأن طبيعته مادية نفعية)[2]. وعليه فإن تهذيب النفس الإنسانية ممكن بالأدلة المنطقية والواقعية، كما أنها كذلك بالأدلة الشرعية (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا)[3].

أما الأخلاق القيمية التي لن يستفيد من ورائها ـ كخلق العفة، وبر الوالدين، والصلة، والإحسان وغيرها فسوف ترهقه وتكلفه لذا سقط فيها سقوطاً ذريعاً وحتى الأخلاق النفعية فهي عنده تتسم بالمرونة فحيثما وجدت المصلحة فثم الأخلاق وإلا فلا.

بينما يربي الإسلام المسلم على أنه رحمة للعالمين، وليس للمسلمين فقط، وأمن للناس جميعا، وليس لبني دينه فحسب.

والأمر لا يحتاج لإحصائية تعبر عن نسبة الجرائم هنا هناك فنظرة صغيرة للواقع والتاريخ نعرف عدد المسلمين الذين قتلوا من الغير على مستوى العالم فالقيم الأخلاقية تكمن في كونها هي الحد الفارق بين الطبيعة الإنسانية والطبيعة الحيوانية، فالإنسان بلا خلق ولا دين: إما وحش كاسر، أو ذئب غادر، أو ثعلب ماكر:

(ولسنا بحاجة إلى إثبات أن تاريخ أوربا هو تاريخ للغزو والاستغلال والقوة والإخضاع والقهر ولا تكاد توجد فترة أو مرحلة من التاريخ الأولى إلا كانت هذه سماتها لا يستثنى من ذلك طبقة ولا جنس ولا توجد جريمة إلا وارتكبت بها في ذلك عمليات الإبادة الجماعية لشعوب بأسرها مثل ما حدث للهنود الحمر حتى الحروب الصليبية التي جعلت من الدين ستارا لها لم تكن استثناء، فهل كان الدافع اقتصاديا أو سياسيا فحسب؟ هل كان تجار العبيد وحكام الهند، وقتلة الهنود الحمر، والبريطانيون

---

(١) المرجع السابق ص١٩٠.

(٢) انظر: الإنسان بين المادية والإسلام، ص٢٢١ مرجع سابق.

(٣) سورة الشمس: ٧: ١٠.

الذين أجبروا الصينيين على فتح بلادهم لتجارة الأفيون، ومثيرو حربين عالميين وأولئك الذين يحضرون لحرب عالمية ثالثة ..... ما كانوا ليستطيعوا تحقيق أهدافهم لو لم تكن شهوة الغزو والانتصار جزءا من مكونات الشخصية الاجتماعية)[1].

وعلى طريقة من فمك أدينك يشهد بإرهاب الغرب للمسلمين ما ذكره واحد منهم[2] "، والذي قال:" أعتقد بأننا صنعنا كذبة مريحة في حياتنا كذبة نحن الصالحين نحن الذين نمد يد المساعدة، ونحن المثل الأعلى، ولكن الحقيقة عكس ذلك أعتقد بأننا في الغرب لم نسيطر على العالم من أجل فكرنا الرائع، أو لقيمنا النبيلة، أو لعظمة ديننا، ولكن لأننا استخدمنا العنف بلا رحمة أكثر من الآخرين، لم يكن المسلمون هم الذين ذبحوا أكثر من أربعة ملايين من البشر أثناء الحروب والحملات الصليبية، لم يكن المسلمون من قتلوا خمسين مليون إنسان أثناء الاستعمار، لم يكن المسلمون من قتلوا سبعين مليون إنسان في الحرب العالمية الاولى والثانية، ولم يكن المسلمون من قتل ستة ملايين من اليهود ولكن كان هذا حصيلة العالم الغربي)[3].

وفي حين أنه يمدح المسلمين فيقول: "خلال المائتي سنة الأخيرة لم يقم أي بلد إسلامي بالهجوم على الغرب ولو لمرة واحدة، إن القوى من أوروبا الغربية والولايات الأمريكية كانت دائما هي المعتدية"[4] .

ومع ذلك فإننا نقبل الآخر، وغيرنا هو الذي لا يقبلنا، ولا يقبل إلا من كان على دينه قال تعالى: (يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَـٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ)[5].

وقال تعالى: (وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ)[6].

والواقع يؤيد هذا، فالذين يقاتلون المسلمين قتالا عقديا هم غير المسلمين مثل ما يحدث في معظم الدول من اضطهاد

---

(١) الإنسان بين الجوهر والمظهر، ص١٩١ مرجع سابق.

(٢) هو يورجن تودينهوفر ولد في(١٢) نوفمبر ١٩٤٠ بمدينة أوفنبرج بولاية بادن بألمانيا وكان والده يعمل قاضيا درس يورجن علوم القانون في جامعات ميونخ وحصل على الدكتوراة في القانون الدولي من جامعة فرايبرج ١٩٦٩ واشتغل بالإعلام عبر دار نشر بوردا الكبرى عام ١٩٨٧ وهو الآن يشغل منصب نائب المدير العام فيها. انظر لماذا تقتل يا زيد، يورجن تودينهوفر، ص٢٣٣، دط، ترجمة د. حارس فهمي سليم محمد، الدار المصرية اللبنانية: القاهرة، ٢٠٠٩م.

(٣) انظر: لماذا تقتل يا زيد، د/ يورجن تودينهوفر، ص٢٣٣، وانظر: التسجيل تلفزيوني له على الرابط: oM٠FfurX٧٢https://www.youtube.com/watch?v=a

(٤) لماذا تقتل يا زيد، د: يورجن تودينهوفر، ص٢١١.

(٥) سورة البقرة، الآية (٢١٧).

(٦) سورة البقرة، الآية (١٢٠).

للأقليات الإسلامية وآخرها ما يحدث لمسلمي الروهينجا" ومثل ما حدث من الصرب مع مسلمي البوسنة [1] وغيرهم كثير.

ولخص "فروم" النتائج التي توصل لها بعض العلماء في أنه "لكي يتجنب عالم الغرب دماراً مادياً محققاً ـ بناء على تقديرات اقتصادية خالصة ـ يجب تغيير القيم الأخلاقية الراهنة، وأن يقوم نظام جديد وموقف جديد من الطبيعة الإنسانية يتضمن تكاملاً إنسانياً شاملاً) [2].

(١) ارتكب الجنود الصرب فظائع كثيرة في حق المسلمين البوسنيين، وكان كل شيء بعلم الكنيسة الأرثوذكسية وأوامرها؛ فتم اغتصاب آلاف الفتيات، حتى أنه من كثرتهم لم يتوصل إلى إحصائية دقيقة تعبر عن عدد المغتصبات، وتشير بعض التقديرات إلى اغتصاب حوالي (٦٠ ألف سيدة وفتاة وطفلة) بوسنية حتى (فبراير ١٩٩٣م) وخلفت الحرب وراءها: ١٥٠ ألف قتيل، منهم ١٠ آلاف في "سراييفو" وحدها، بينهم ألفا طفل، طبقًا لما أوردته اللجنة التي شكلتها الحكومة البوسنية لجمع المعلومات وهو رقم متواضع بالنسبة لما خلفته الحرب بعد انتهاءها؛ حيث قدرت الأمم المتحدة خسائر الحرب بحوالي (٢٠٠ ألف قتيل) و(٢٠٠ ألف جريح ومعاق). من موقع قصة الإسلام، إشراف: د/ راغب السرجاني. https://demo.islamstory.com/ بتاريخ ١٢/ ٧/ ٢٠٠٧م.

(٢) الإنسان بين الجوهر والمظهر، إريك فروم ص١٩٠.

الخاتمة:

إن المتأمل في هذا البحث يقف على أن جميع التشريعات التي تعبد الله تعالى بها عباده، وكلفهم بها، تثمر الإنسان الصالح، الذي يعرف ما عليه فيؤديه تماما على الذي أحسن، ويعرف ما له فيطالب به ولا يفرط فيه، ويعرف ما لغيره فلا يتعدى عليه.

جميع تشريعات الإسلام تبني العقيدة السليمة والعبادة الصحيحة والخلق السامي والمعاملة الراقية، وتصنع الأمن النفسي للفرد، والأمن المجتمعي للغير سواء كان فردا أو جماعة.

وما ذاقت المجتمعات الإسلامية ويلات الجريمة والخوف إلا بالتفريط في الضوابط التي وضعها الإسلام للتربية السليمة.

وإن أمان المجتمع وأمنه وسلامه مرهون بتطبيق شريعة الله تعالى على الأفراد والجماعات، وإعادة صياغة المجتمع المسلم على كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ بفهم السلف الصالح رضوان الله عليهم.

أهم النتائج:

١- نظرة الإسلام للإنسان والكون والحياة أكمل المناهج وأتمها وأعدلها وأقربها للفطرة والعقل السوي، وهي ميزان نظرة المسلم لنفسه وغيره.

٢- وضع الإسلام مثالا أعلى وقدوة صالحة لكل موقع اجتماعي ينزله الفرد، يعصم الفرد عن الانحراف والشطط إذا هو تمثله واهتدى به.

٣- العقيدة الإسلامية أعظم روافد الأمن في المجتمع بما تبثه في نفس المسلم من رؤية سوية لنفسه ولغيره من الناس.

٤- من الجوانب المهمة في التربية والتوجيه الجانب الاجتماعي لأركان الإسلام.

٥- الأخلاق والمعاملات الإسلامية صمام أمان للفرد والمجتمع.

٦- المجتمع المسلم بطبيعته طارد للجريمة، حاضنة للأمن والأمان، بما يقوم عليه من أسس العقيدة والعبادات والمعاملات والأخلاق.

أهم التوصيات:

١- على وسائل الإعلام أن تتبنى بيان إسهامات العقيدة والعبادات والمعاملات والأخلاق الإسلامية في تربية الفرد الصالح الذي يمثل أمنة لنفسه ولغيره ومجتمعه.

٢- على واضعي المناهج التعليمية أن يضمنوا مناهج المراحل الابتدائية والمتوسطة والثانوية معطيات الإسلام لبناء الفرد السوي ومن ثم الأمن المجتمعي.

٣- ينبغي أن يتفطن الدعاة وفرسان المنابر توجيه الناس إلى منهج الإسلام في تربية الفرد وتحقيق الأمن المجتمعي.

اللهم إنا نسألك سؤال المنكسر الخاضع الذليل لك وحدك لا شريك لك، أن تتقبل هذا العمل، وأن تجعله حجة لنا لا علينا، وإسهاما في أمن مجتمعاتنا وأمتنا.

اللهم خذ بأيدينا إليك أخذ الكرام عليك، وحسّن نياتنا وتقبل أعمالنا، أنت سبحانك ولي كل خير ونعمة، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

أهم المصادر والمراجع

١- الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. ط١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م.

٢- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان التميمي الدارمي البستي، ترتيب علي بن بلبان، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط١، مؤسسة الرسالة: بيروت، ١٤٠٨، ١٩٨٨م.

٣- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان، ترتيب علاء الدين علي بن بلبان، حديث رقم ١٠٣٣، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط١، مؤسسة الرسالة: بيروت، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

٤- أحكام الجنائز، الألباني، محمد ناصر الدين، ط٤، المكتب الإسلامي: بيروت، ١٤٠٦، ١٩٨٦م.

٥- أحكام أهل الذمة، ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب، تحقيق: يوسف بن أحمد البكري، شاكر بن توفيق العاروري، ط١، رمادي للنشر: الدمام ١٤١٨ هـ ١٩٩٧.

٦- الأدب المفرد، البخاري، محمد بن إسماعيل، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط٣، دار البشائر الإسلامية: بيروت، ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م.

٧- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار، دط، دار الفكر: بيروت، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.

٨- إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم. ط١، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٤١١هـ ١٩٩١م.

٩- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، تحقيق: محمد حامد الفقي. ط٢، بيروت: دار المعرفة، ١٣٩٥هـ ١٩٧٥م.

١٠- الإكليل في استنباط التنزيل، السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، تحقيق: سيف الدين الكاتب. دط، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٤٠١هـ ١٩٨١م.

١١- الإنسان بين الجوهر والمظهر، إريك فروم، ترجمة: سعد زهران، دط، عالم المعرفة: القاهرة، دت.

١٢- الإنسان بين المادية والإسلام، محمد قطب، ط١٠، دار الشروق: القاهرة، ١٤٠٨، ١٩٨٨م.

١٣- انظر ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، الندوي، أبو الحسن، دط، دار نهر النيل: القاهرة. دت.

١٤- البرهان في علوم القرآن، الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١،

دار إحياء الكتب العربية: القاهرة، ١٣٧٦هـ ١٩٥٧م.

١٥- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيرزآبادي، محمد بن يعقوب، تحقيق: محمد علي النجار. ط١، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية: القاهرة، ١٣٩٣: ١٤١٦هـ ١٩٧٣: ١٩٩٦م.

١٦- تحفة المودود بأحكام المولود، ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، ط١، مكتبة دار البيان: دمشق، ١٣٩١هـ ١٩٧١م.

١٧- تفسير الإمام الشافعي، الشافعي، محمد بن إدريس، جمع وتحقيق: أحمد الفرّان. ط١، دار التدمرية: المملكة العربية السعودية، ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م.

١٨- تفسير البيضاوي، عبد الله بن عمر، دط، دار الفكر: بيروت، دت.

١٩- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، إسماعيل بن كثير، تحقيق: مصطفى السيد وآخرين. ط١، مؤسسة قرطبة: الجيرة مصر، ١٤١٢هـ ٢٠٠٠م.

٢٠- التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: محمد رضوان الداية. ط١، دار الفكر المعاصر، ودار الفكر: بيروت، دمشق، ١٤١٠هـ.

٢١- التيسير بشرح الجامع الصغير، المناوي، عبد الرؤوف بن تاج العارفين، ط٣، مكتبة الإمام الشافعي: الرياض، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

٢٢- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، محمد بن جرير، تحقيق: أحمد شاكر. ط١، مؤسسة الرسالة: بيروت، ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م.

٢٣- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، محمد بن جرير، تحقيق: د. عبد الله التركي. ط١، القاهرة: دار هجر، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.

٢٤- جامع الترمذي، الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى الضحاك، تحقيق: أحمد محمد شاكر، محمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة. ط٢، مطبعة مصطفى البابي الحلبي: القاهرة، ١٣٩٥هـ ١٩٧٥م.

٢٥- دلائل النبوة، البيهقي، أحمد بن الحسين، ط١، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٤٠٥هـ.

٢٦- الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري، ط١، دمشق: دار العصماء، ١٤٢٧هـ.

٢٧- رسالة المسترشدين، الحارث بن أسد المحاسبي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة. مكتب المطبوعات الإسلامية: حلب، ١٩٦٤م.

٢٨- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، الألباني، محمد ناصر الدين، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع: الرياض، ١٤١٥: ١٤٢٢هـ ١٩٩٥: ٢٠٠٢م.

٢٩- سنن ابن ماجه، ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، أبواب الديات، باب من قتل معاهدا، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرين، ط١، دار الرسالة العالمية: بيروت، ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م.

٣٠- سنن ابن ماجه، ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقى. دار إحياء الكتب العربية: القاهرة.

٣١- سنن ابن ماجه، أبواب الديات، باب من قتل معاهدا، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه.

٣٢- سنن أبي داود، أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد بللي. ط١، دار الرسالة العالمية: بيروت، ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م.

٣٣- سنن أبي داود، أبو داود، سليمان بن الأشعث بن بشير بن شداد الأزدي السجستاني، تحقيق شعيب الأرناؤوط، محمد بللي، ط١، دار الرسالة العالمية: بيروت، ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م.

٣٤- سنن الدارمي، الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن، تحقيق: فواز زمرلي، خالد العلمي، ط١، دار الكتاب العربي: بيروت، ١٤٠٧هـ.

٣٥- السنن الكبرى للبيهقي، البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي، تحقيق: عبد الله التركي. ط١، دار هجر: القاهرة، ١٤٣٢هـ ٢٠١١م.

٣٦- السنن الكبرى، البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى، حديث رقم ١٩٦٦٨، تحقيق: محمد عبد القادر عطا. ط٣، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م.

٣٧- شرح السنة، البغوي، الحسين بن مسعود. تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد الشاويش، ط٢، المكتب الإسلامي: دمشق وبيروت، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

٣٨- شعب الإيمان، البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى، تحقيق: د. عبد العلي حامد. ط١، مكتبة الرشد: بومباي الهند، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م.

٣٩- صحيح البخاري (الجامع المختصر الصحيح) تحقيق: مصطفى ديب البغا، طبعة ٣، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، لبنان، (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م).

٤٠- الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، حكمت بشير، ط١، دار المآثر: المدينة المنورة، ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.

٤١- صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ)، طبعة مصورة عن الطبعة التركية المطبوعة في استانبول بتركيا ١٣٣٤هـ دار الجيل، بيروت، بيروت.

٤٢- ضعيف الترغيب والترهيب، الألباني، محمد ناصر الدين، ط١، ط١، مكتبة المعارف: الرياض، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

٤٣- ظافر صلاح، أسباب تعاطي المخدرات والمخاطر الناجمة عن ذلك على الفرد والمجتمع والوطن، بحث مقدم إلى إدارة مكافحة المخدرات في الشرطة الفلسطينية برام الله، فلسطين، ٢٠١٦م.

٤٤- العلاقات الدولية في الاسلام، محمد ابو زهرة، ط١، دار الفكر العربي: القاهرة، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.

٤٥- عمدة القاري شرح صحيح، العيني، محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى، دط، دار إحياء التراث العربي: بيروت، دت.

٤٦- العناية شرح الهداية، البابرتي، محمد بن محمد بن محمود، دط، دار الفكر: بيروت، دت.

٤٧- عون المعبود شرح سنن أبي داود، العظيم آبادي، محمد شمس الحق، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان. ط٢، المكتبة السلفية: المدينة المنورة، ١٣٨٨هـ ١٩٦٨م.

٤٨- فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، محب الدين الخطيب، عبد العزيز بن باز، دط، دار المعرفة: بيروت، ١٣٧٩ه.

٤٩- قاعدة مختصرة في قتال الكفار ومهادنتهم وتحريم قتلهم لمجرد كفرهم، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، تحقيق: د. عبد العزيز الزير آل حمد. ط١، بدون دار نشر، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م.

٥٠- القاموس المحيط، الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط٨، مؤسسة الرسالة: بيروت، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.

٥١- قواعد أساسية في البحث العلمي، سعيد إسماعيل صيني، ط١، مؤسسة الرسالة: بيروت، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.

٥٢- كتاب السياسة أو الإشارة في تدبير الإمارة (طبعة يليه فيها كتابان آخران)، المرادي الحضرمي، محمد بن الحسن، تحقيق: محمد حسن إسماعيل، أحمد المزيدي. ط١، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣.

٥٣- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، محمود بن عمرو بن أحمد، ط٣، دار الكتاب العربي: بيروت، ١٤٠٧هـ.

٥٤- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، محمود بن عمرو بن أحمد، ط٣، دار الكتاب العربي: بيروت، ١٤٠٧هـ.

٥٥- كشف المشكل من حديث الصحيحين، ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، تحقيق: علي حسين البواب، دط، دار الوطن: الرياض، دت.

٥٦- لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، دط، دار المعارف: القاهرة، دت.

٥٧- لطائف الإشارات، القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك، تحقيق: إبراهيم البسيوني. ط٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب: مصر، دت.

٥٨- لماذا تقتل يا زيد، يورجن تودينهوفر، دط، ترجمة د. حارس فهمي سليم محمد، الدار المصرية اللبنانية: القاهرة، ٢٠٠٩م.

٥٩- المخدرات وآثارها النفسية والاجتماعية والاقتصادية في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، خالد حمد المهندي، وحدة الدراسات والبحوث، مركز المعلومات الجنائية لمكافحة المخدرات لمجلس التعاون لدول الخليج العربية، الدوحة، قطر، ٢٠١٣م.

٦٠- مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، عبد الله بن أحمد بن محمود، تحقيق: مروان الشعار. دط، دار النفائس: بيروت: ٢٠٠٥م.

٦١- المستدرك على الصحيحين، الحاكم، محمد بن عبد الله بن محمد، تحقيق: مصطفى عطا، ط١، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٤١١هـ ١٩٩٠م.

٦٢- مسند أحمد، أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومن معه. ط١، مؤسسة الرسالة: بيروت، ١٤٢١هـ ٢٠٠١م.

٦٣- مسند أحمد، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرين. ط١، مؤسسة الرسالة: بيروت، ١٤٢١هـ ٢٠٠١م.

٦٤- مشكل الصحيحين، ابن قرقول: إبراهيم بن يوسف الحمزي، تحقيق: جميل عويضة.

٦٥- المصباح المنير، الفيومي، أحمد بن محمد بن علي، دط، المكتبة العلمية: بيروت، دت.

٦٦- المعجم الأوسط للطبراني، الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب، تحقيق: إبراهيم شمس الدين. الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ.

٦٧- المعجم الأوسط، الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب، تحقيق: طارق عوض الله، عبد المحسن الحسيني، دط، دار الحرمين: القاهرة، دت.

٦٨- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية (إبراهيم مصطفى، وآخرون، دط، دار الدعوة: استانبول، دت.

٦٩- المغني، ابن قدامة، عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي، تحقيق: عبد الله التركي، وعبد الفتاح الحلو. ط٣، عالم الكتب: الرياض، ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.

٧٠- مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، الرازي، محمد بن عمر بن الحسن، ١٩/ ١٠٤، ط٣، دار إحياء التراث: بيروت، ١٤٢٠هـ.

٧١- مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، الرزاي، محمد بن عمر بن الحسن، ط٣، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

٧٢- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دط، دار المعرفة: بيروت، دت.

٧٣- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دط، دار المعرفة: بيروت، دت.

٧٤- مقالات الإسلاميين، الأشعري، علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم، تحقيق: نعيم زرزور. ط١، المكتبة العصرية: بيروت، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.

٧٥- مقدمة في منهج البحث العلمي، د. العزاوي، رحيم، ط١، دار دجلة: الأردن، ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م.

٧٦- مناهج البحث العلمي، د. بدوي، عبد الرحمن، دار النهضة: القاهرة، ١٩٦٣م.

٧٧- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، يحيى بن شرف، ط٢، دار إحياء التراث العربي: بيروت، ١٣٩٢هـ.

٧٨- الموافقات، الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي، تحقيق: مشهور آل سلمان، ط١، دار ابن عفان: القاهرة ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.

٧٩- مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، الرعيني، محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي، ط٣، دار الفكر: بيروت، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.

٨٠- الموسوعة العربية العالمية، ط٢، مؤسسة أعمال الموسوعة: الرياض، ١٤١٩هـ ١٩٩٩م.

٨١- موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، دكتور/ عبد الوهاب المسيري، ط١، دار الشروق: القاهرة، ١٩٩٩م.

٨٢- موقع الأمم المتحدة على الشبكة الدولية.

٨٣- النبوات، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، تحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان، ط١، أضواء السلف: الرياض، ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م.

٨٤- نظام الحرب والسلم في الإسلام، مصطفى السباعي، دط، مكتبة الوراق: القاهرة، دت.

٨٥- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط، دط، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، دت.

٨٦- النكت والعيون، الماوردي، علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري، تحقيق: السيد عبد المقصود عبد الرحيم. دط، دار الكتب العلمية: بيروت، دت.

٨٧- النكت والعيون، الماوردي، محمد بن محمد بن حبيب البصري، تحقيق السيد عبد المقصود عبد الرحيم. دط، دار الكتب العلمية: بيروت، دت.

٨٨- النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، المبارك بن محمد بن محمد الشيباني، تحقيق: طاهر الزاوي، محمود الطناحي. دط، المكتبة العلمية: بيروت، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.

مواقع على الشبكة العنكبوتية:

١- https://www.youtube.com/watch?v=a٧٢X٠MfurE.

٢- https://www.youtube.com/watch?v=Acv-ZBgReuc

www.fao.org/docrep/meeting/٠٠٦/Y٩٣٢٠a.htm لجنة الأمن الغذائى العالمى الدورة التاسعة والعشرون روما من ١٢ إلى ١٦ مايو – أيار ٢٠٠٣م .

٣- استراتيجية الأمم المتحدة لمكافحة الإرهاب https://www.un.org/counterterrorism/ctitf/ar/un-global-counter-terrorism-strategy

٤- إشراف: د/ راغب السرجاني. https://demo.islamstory.com/ بتاريخ ٢٠٠٧/٧/١٢م.

٥- انظر: http://www.kurdistan٢٤.net/ar/newsreader/cda٥٣٣٤١-٦c٢٤-٤٢cd-٨٧a٦-٩٩df٩٠٩cb٦ff

٦- انظر: https://en.wikipedia.org/wiki/Peace_psychology، بحجم ١٢,٦ كيلوبايت (١٢،٩٤٥ بايت بتاريخ٢٠١٦ ,٠٩ October

٧- الدواعش يقتلون ذويهم https://al-ain.com/article/١٨٨٥٧١